

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر
ورقلة



قضايا لغوية

مجلة علمية أكاديمية محكمة نصف سنوية تُعنى بمختلف قضايا اللغة واللسانيات



العدد 02

المجلد 01

ديسمبر

2020

ISSN 2773-2894

L.D juin-2020

E-ISSN 2773-2886

ديسمبر 2020

02

العدد

01

المجلد

قضايا لغوية

Center for Scientific and Technical Research for the Development of the Arabic Language

Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria

Ouargla



LINGUISTIC ISSUES

A semi-annual refereed international scientific journal dealing with various issues of language and linguistics



Volume 01

Nember 02

DECEMBER

2020

ISSN 2773-2894

L.D juin-2020

E-ISSN 2773-2886

قضايا الغويات

مجلة علمية أكاديمية محكمة نصف سنوية تُعنى بمختلف قضايا اللغة واللسانيات

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د. مراد عباس

مدير مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

مدير المجلة

د. عثمان بريجة

مدير وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر

المجلد 1 | العدد 2

ديسمبر 2020

هيئة التحرير

رئيس التحرير

د. حسام الدين تاويريت

فريق التحرير

- عبد الكريم جيدرور وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية (الجزائر)
عبد القادر علي زروقي وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية (الجزائر)
ادريس بن خويا جامعة أحمد دراية - أدرار (الجزائر)
بركاهم علوي المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة (الجزائر)
بلقاسم حمام جامعة الملك فيصل (السعودية)
جاسم حسن القره غولي جامعة النجف (العراق)
جهاد سلمان جمعه العجاليين الجامعة الإسلامية بمنيسوتا (الولايات المتحدة الأمريكية)
جورج غريغوري جامعة بوخارست (رومانيا)
خالد أبو عمشة معهد قاصد - عمان (الأردن)
خالد نعيم الشناوي جامعة البصرة (العراق)
راند عبد الرحيم جامعة النجاح الوطنية (فلسطين)
سرور حشيشة جامعة صفاقس (تونس)
عادل النجم جامعة سبها (ليبيا)
عبد الرؤوف محدي وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية (الجزائر)
عبد المالك بلخيرري جامعة زيان عاشور - الجلفة (الجزائر)
عز الدين صحراوي جامعة العقيد الحاج لخضر - باتنة (الجزائر)
عصام أبو زيد جامعة الطائف (السعودية)
عواطف السمعلي الزواري جامعة منوبة (تونس)
ماشياو مينغ (الصين)
محمد أبو الفتوح جامعة بنها (مصر)
محمد الهواري (الولايات المتحدة الأمريكية)
محمود قادم جامعة بارتن (تركيا)
مختار درقاوي جامعة حسبية بن بوعلي - الشلف (الجزائر)
مختار زواوي جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس (الجزائر)
مصطفى شعبان جامعة نورثويست (الصين)
مناح آمنة وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية (الجزائر)
هاني إسماعيل جامعة غريسون (تركيا)
هبة شنيك الجامعة الأردنية (الأردن)
هيفاء فدا جامعة أم القرى (السعودية)
يحي إمام سليمان جامعة بايرو بكنو (نيجيريا)
فضيلة دقناتي وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية (الجزائر)

حول المجلة



Qaḍāyā lughawīyāt = Linguistic Issues = قضايا لغوية

مجلة علمية أكاديمية محكمة نصف سنوية، تصدر عن وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر. ورقلة. التابعة لمركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، تهتم بنشر البحوث والمقالات في شتى علوم اللغة وقضاياها، باللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية. تصدر المجلة. في صورتها الورقية. بانتظام وفق جدول زمني محدد منذ تأسيسها عام 2020. إضافة للنسخة الورقية فإن الأعمال العلمية المنشورة في المجلة، متوفرة من خلال موقع المجلة الإلكتروني:

[HTTPS://URLCLAA.COM/LINGUSTIC-ISSUES](https://urlclaa.com/linguistic-issues)

أهداف المجلة

- تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين الجادين الذين يعملون على دراسات تدرج ضمن تخصص المجلة لنشر أبحاثهم.
- تقريب الصلة بين القراء والكتاب.
- المساهمة في نشر المعرفة المرتبطة باللغة وتطوير البحث اللساني.
- مواكبة تطور البحث اللغوي من خلال تشجيع الأبحاث التي تعالج مواضيع حديثة.
- توفير محتوى علمي يمكن الاعتماد عليه كسند مرجعي في إعداد البحوث الأكاديمية.

مجالات المجلة

تفتح المجلة باب النشر لجميع البحوث الجادة في مختلف مجالات اللغة واللسانيات، ويتضمن ذلك .على سبيل التمثيل لا الحصر .المجالات الآتية:

النظريات الوظيفية للنحو	اللسانيات التوليدية	اللسانيات المعرفية	اللسانيات النظرية
التركيب	نظم الكتابة	الصوتيات	اللسانيات الكمية
لسانيات عصبية	فلسفة اللغة	علم الدلالة	لسانيات وظيفية
اللسانيات التاريخية	اللسانيات الأنثروبولوجية	اللسانيات الوصفية	التداولية
التأثيل	علم المصطلح	سميولوجيا	اللسانيات المقارنة
تقييم اللغة	اللسانيات الحاسوبية	اللسانيات التطبيقية	اللسانيات الاجتماعية
اللسانيات النفسية	تعليمية اللغة	تنشيط اللغة	توثيق اللغة
اللسانيات التطورية	اللسانيات العصبية	اكتساب اللغة الثانية	تطوير اللغة
تحليل الخطاب	الصرف	اكتساب اللغة	اللسانيات الجنائية
اللسانيات البيولوجية	التصنيف اللغوي	علم اللهجات	علم الأسلوب
اللسانيات التقابلية	اللسانيات الجغرافية	اللسانيات التنموية	اللسانيات السريرية
(LSP) اللغة لأغراض محددة	لسانيات بينية	النحو	لسانيات المدونة
المعجمية	لسانيات النص	اللسانيات الإحصائية	البلاغة

بيانات وصفية حول المجلة



مجلة علمية دولية نصف سنوية تعنى بمختلف قضايا اللغة واللسانيات

D.L: June 2020

ISSN Online: [2773-2886](#) | ISSN Print: [2773-2894](#)

العنوان الأصلي: قضايا لغوية

العنوان الأصلي (بالحروف اللاتينية): Qaḍāyā lugawiyaṭ

العنوان الموازي: Linguistic Issues

اختصار العنوان: LIJ



التوزيع: وصول مفتوح



الرخصة: CC BY-NC 4.0

الرسوم: ليس هناك رسوم للنشر أو معالجة المقال

الناشر: مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر

المدينة: ورقلة

الدولة: الجزائر

دورية النشر: نصف سنوية

سنة أول نشر: 2020

الإيداع القانوني: جوان 2020

لغات المجلة: متعددة اللغات (العربية، الإنجليزية، الفرنسية)

منشورات وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر

Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria Publications

LINGUISTIC ISSUES is licensed under a [Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License](#). Based on a work at [this website](#).



Copyright ©[linguistic issues](#) 2020 - All Rights Reserved
<https://urlclaa.dz>

This content is [Open Access](#)



تطبيق قضايا لغوية



الاتصال بالمجلة



وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر

الطريق الوطني 49 طريق غرداية، ص ب 07 بريد جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الرمز البريدي 30063

كلية الآداب واللغات. ورقلة. الجزائر

الهاتف / الفاكس

+21329719361

البريد الإلكتروني

contact@qadaya-lugawiyat.dz

الموقع الإلكتروني

<https://urlclaa.dz/linguistic-issues>

الصفحة الرسمية للمجلة على الفيسبوك

<https://www.facebook.com/linguistic.issues1>

ISSN 2773-2894 / E-ISSN 2773 – 2886

سياسة النشر بالمجلة

تستقبل مجلة " قضايا لغوية" مختلف الأعمال العلمية التي تعالج إحدى قضايا اللغة أو اللسانيات، وتنشر المجلة الأعمال الأصيلة التي خضعت لعملية تحكيم تثبت أهليتها للنشر بما يتوافق مع شروط وسياسات التحكيم والنشر بالمجلة.

1. شروط النشر بالمجلة

يجب على كل عمل مقدم للمجلة بغرض النشر أن يستوفي الشروط الآتية:

–تنشر المجلة البحوث المتعلقة بمختلف قضايا اللغة واللسانيات باللغات الثلاث (العربية والإنجليزية والفرنسية) مع الالتزام بالشروط الآتية:

–أصالة المادة المقدمة للنشر بحيث لا تكون قد نشرت من قبل بأي شكل من الأشكال، وأن لا يكون مستل من أحد الأعمال السابقة المنشورة للمؤلف.

–التقيّد بالمعايير العلمية والأكاديمية المتعارف عليها في البحث، من خلال المعالجة الموضوعية والحرص على التوثيق والجدة في الطرح مع حسن استخدام المصادر والمراجع .

–كتابة البحث بخط (Sakkal Majalla) حجم: 14 بالنسبة للمتن و 12 بالنسبة للهوامش، ويرسل في شكل ملف نصي بامتداد docx.

–إدراج الرسومات والجداول والأشكال المرفقة بالبحث في شكل صور.

–التزام الباحث القيام بالتعديلات في حال طلبت منه من طرف المراجعين، مع موافاة المجلة بنسخة معدّلة.

–إرفاق المقال بملخص لا يتجاوز 300 كلمة.

–تضمين الإحالات في متن المقال بين قوسين وفق أسلوب جمعية علم النفس الأمريكي (APA)

–إرفاق المقال بقائمة المراجع في آخر البحث وفق التنسيق الموضّح في قالب المجلة.

–أن لا يقل عدد صفحات المقال 10 صفحات، وأن لا يزيد على 25 صفحة.

–ملاحظة: يرفض المقال قبل تقديمه إلى المراجعين إذا لم يلتزم صاحبه بقالب المجلة .

–ترسل الأعمال العلمية عبر منصة التقديم من خلال الموقع الإلكتروني للمجلة أو عن طريق البريد الإلكتروني الآتي: Linguisticissues1@gmail.com

2. سياسات عامة متعلقة بالنشر

. يحق للمجلة رفض نشر أي عمل إذا لم يتوافق مع سياسة وشروط وأخلاقيات النشر بالمجلة.

. يحق للمجلة التعديل أو الحذف في الصياغة اللغوية بما يتفق مع شروط وقواعد النشر.

. للمحررين الحق في إجراء بعض التعديلات على متن المقال وهذا يشمل التصحيح اللغوي والفني وإلغاء التكرار وإيضاح ما يلزم.

. توفر المجلة خدمتي النشر الإلكتروني والورقي.

. يمكن لكل باحث مساهم في المجلة طلب نسخة ورقية عن العدد الذي يتضمن عمله متى ما توفرت النسخ.

. تنشر المجلة عددين في السنة، الأول في شهر جوان (يونيو) والثاني في شهر ديسمبر.

. إضافة للعددین الثابتین، قد تصدر المجلة عددا خاصا إذا كان هناك داع لذلك.

. تلزم المجلة بمبدأ الفصل بين المحكمين والمؤلفين، فلا يمكن للمحكم أن يكون من بين المؤلفين في المجلة.

. تلتزم المجلة بتواتر النشر واستمراره في مواعيده المحددة.

. تنتقل حقوق نشر وتأليف الأعمال المنشورة في مجلة " قضايا لغوية" للمجلة ولا يحق للمؤلف التصرف في عمله. بعد نشره. بأي شكل من الأشكال إلا بإذن خطي من رئيس التحرير.

. يحق للمؤلف عند الضرورة الحصول على إشهاد بالنشر.

سياسة الخصوصية

تستخدم الأسماء وعناوين البريد الإلكتروني المدرجة في موقع المجلة حصرياً لأغراض محددة.

1. ملفات الارتباط: يستخدم موقع المجلة ملفات تعريف الارتباط (cookies) وهي عبارة عن بيانات محدودة عن تفضيلات المستخدمين مثل كلمات البحث والصفحات التي تمت زيارتها والصفحات الأكثر زيارة وتفضيلاً من قبل المستخدمين وهذه البيانات تساعد موقع المجلة على تلبية احتياجات المستخدمين وتطوير خدمات الموقع ومحتواه. كما يقوم موقع المجلة بتسجيل عنوان IP وهو عبارة عن رقم يمكن أن يحدد كل جهاز كومبيوتر يستخدم شبكة الإنترنت.

2. الوصول المفتوح (Open Access): يضمن موقع المجلة للمستخدمين إمكانية الوصول للمقالات، وتحميلها وطباعتها مجاناً بحيث تكون متاحة على أوسع نطاق مع الاحتفاظ بحقوق التأليف.

3. حقوق النشر والترخيص: جميع الحقوق محفوظة لصالح مجلة "قضايا لغوية" ولا يحق للمؤلف إعادة نشر عمله بأي شكل من الأشكال دون الرجوع لهيئة تحرير المجلة.

تطبق المجلة رخصة المشاع الإبداعي، نَسْبُ المُصَنَّف، غير تجاري 4.0 دولي (CC BY-NC 4.0) يسمح هذا الترخيص لأي مستخدم بتنزيل المقالة وطباعتها وإعادة استخدامها وأرشفتها وتوزيعها، طالما يتم الإشارة إلى المؤلفين ومصدر العمل. يضمن الترخيص أن المقالة ستكون متاحة على أوسع نطاق ممكن وأنه يمكن تضمينها في أي أرشيف علمي بالرجوع إلى المؤلف والمصدر.

4. رسوم النشر: المجلة مجانية غير ربحية لا تشترط رسوماً للنشر العلمي ولا لمعالجة المقالات.

5. سياسة الانتحال: المقالات المرسلة يجب أن تكون أصيلة غير منشورة أو مقدمة للنشر في جهة أخرى، ويجب أن تتضمن اقتباسات صحيحة غير منتحلة؛ بحيث ترفض هيئة التحرير نشر أي عمل اكتشفت فيه سرقة علمية في أي مرحلة من مراحل النشر.

إننا نحترم الملكية الفكرية للآخرين ونطلب منك ذلك أيضا؛ إن كنت تعتقد بأن عملا يعود لك قد تم نسخه بطريقة قد تشكل انتهاكا لحقوق النشر، يرجى منك تزويدنا بالمعلومات الكافية التي تثبت أنك صاحب العمل الأصلي أو المالك لحق النشر أو المفوض بالنيابة عنه، لاتخاذ الإجراءات المناسبة في هذا الشأن.

6. تحليلات غوغل: يحتوي الموقع على بعض المكونات المرسلة من Google Analytics، وهي خدمة تحليلية لمدى ازدهام الشبكة تقوم بتزويدها شركة جوجل؛ تقوم هذه الخدمة بتجميع بيانات ملفات الارتباط وإدارتها بشكل مجهول الهوية عن طريق رمز يتم تنصيبه في صفحات الموقع من أجل مراقبة وتحليل المعلومات حول طريقة استخدام الموقع وتحسين أدائه.

كلمة العدد

يُطلّ العدد الثاني من مجلة "قضايا لغوية" استكمالاً لفاتحة طيبة تمثلت في العدد الأول واستمراراً لمسيرة النشر العلمي المتميز بالشمول والابتكار ومواكبة المستجدات العصرية في مجالات اللغة والأدب والنقد، وما يرافق ذلك من انفتاح واجب على التخصصات العلمية الجديدة، والتخصصات البينية المفيدة، وكل القضايا والمسائل التي تخدم سلامة اللسان العربي تعليماً وتعلّماً واستعمالاً وشيوعاً. وهي -بلا شك- الغايات الأكيدة والتطلعات السديدة التي يسعى إلى بلوغها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ووحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر التابعة له، والتي تعد هذه المجلة ثمرة من جهود باحثها.

سيجد القارئ الكريم في ثانيا هذا العدد مقالات متميزة، تنوعت موضوعاتها بين تعليم اللغة العربية وتعريب المصطلحات، وقضايا تتعلق بالإصلاح التربوي، وقضايا أخرى تمس تاريخ اللغة العربية وجغرافيتها الحالية.

ففيما يخص تعليم اللغة العربية سيجد القارئ الكريم موضوعاً عن مفهوم التقويم بوصفه أداة تربوية إجرائية بالغة الأهمية، كما سيجد موضوعاً هاماً عن المحتوى التربوي وأسس اختياره، وفي السياق ذاته دراسة عن قضية تعريب المصطلح العلمي من خلال استقراء استعمال مصطلحات الرياضيات المعربة في الرسائل الجامعية. وفي إطار الفلسفة التربوية نجد مقالاً عن أفكار المربي الكبير والعالم البَحْث محمد البشير الإبراهيمي، ومقالاً عن طبيعة العلاقة بين اللغة والمجتمع. أما مجال تاريخ اللغة العربية وجغرافيتها الذي توليه المجلة اهتماماً خاصاً لقلّة العناية به، فسيفيد القارئ في هذا العدد بمقالين عن اللهجة الحسانية وهي لهجة عربية صحراوية يشيع التحدث بها في أقسام من جنوب غرب الجزائر، وقسم من شرق موريتانيا وبعض مناطق في غرب أفريقيا.

رجاؤنا أن يكون هذا العدد في مستوى تطلعات الباحثين والمهتمين، وأملنا أن يكون فيه ما يعد إضافة لحقل الدراسات اللغوية المعنية باللغة العربية. والشكر موصول بأسمى عباراته لكل من ساهم من قريب أو من بعيد في إخراج هذا العدد.

د.عبد الكريم جبدور

نائب رئيس التحرير

فهرس الموضوعات

الرقم	عنوان المقال	الصفحة
01	التقويم: مفهومه وأهدافه د. سعاد جخراب	22-8
02	اللهجة الحسانية بالجنوب الجزائري بين التنوع والثراء قراءة في مخطوط ديوان حسان ولد لعرب الجكني بتندوف د. بريك الله حبيب	38-23
03	اللغة والمجتمع (العلاقة والأهمية) أ. جموعي تارش	50-39
04	اللسان الحسناني ومظاهر التواصل الثقافي مقاربة أنثروبولوجية بالجنوب الغربي الجزائري أ.د. مباركة بلحسن	69-51
05	كتابة الرسائل الجامعية في التخصصات العلمية وتحدي التعريب: تخصص الرياضيات أنموذجا د. فضيلة دقناتي	86-70
06	دور الإصلاح التربوي الإبراهيمي في حفظ مقومات وخصوصيات الأصول الجزائرية د. بلال لعفيون	96-87

التقويم: مفهومه وأهدافه

The evaluation: its concept and objectives

د. سعاد جخراب *

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر (ورقلة - الجزائر)

Dr. Djoukhrab Souad

Center for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development

Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria (Ouargla-Algeria)

ruisouad@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/15

تاريخ القبول: 2020/11/25

تاريخ استلام المقال: 2020/11/02

ملخص

إن التقويم عنصر أساسي لقياس مستوى الكفاءة والتأكد من درجة التأدية، وهو ضروري لكل تقدم أو نمو، وفي علوم التربية والتعليمات التطبيقية لا تستغني عنه أي طريقة مهما كانت توجهاتها النظرية والمنهجية، فهو يساعد على توليد الملكات، وخلق المهارات، وتحسين الأداء، ورفع المردود في جميع شؤون الحياة، فما بالك بميدان التربية والتعليم حيث يقوم -التقويم- بدور فعال في تطوير العملية التعليمية إذ عن طريقه يمكن التمييز بين نقاط القوة والضعف في أي برنامج تعليمي في مختلف المستويات والمراحل التعليمية وقد أثبتت مختلف الممارسات التربوية مدى أهمية هذا الموضوع وضرورته لكل عناصر العملية التعليمية التي تشمل المعلم، المتعلم، المنهج، طرق التدريس، أساليب التقويم.

الكلمات / المفاتيح: التقويم: التقييم: القياس: التشخيص.

Abstract

Evaluation is an essential element for measuring the level of competence and ensuring the degree of performance, and it is necessary for every progress or growth, and in the sciences of education and applied instruction, no method can be dispensed with, regardless of its theoretical and methodological orientations, as it helps to generate skills, create skills, improve performance, and raise returns in all life affairs, especially education,

where - the evaluation - plays an effective role in the development of the educational process, as through it, it is possible to distinguish between the strengths and weaknesses of any educational program at various levels and educational stages. Various educational practices have proven the importance of this topic and its necessity for all elements The educational process that includes the teacher, the learner, the curriculum, teaching methods, and evaluation methods.

Keywords: Evaluation; Assessment; Measurement; Diagnosis.

تمهيد :

إن التقويم عنصر أساسي لقياس مستوى الكفاءة والتأكد من درجة التأدية، وهو ضروري لكل تقدم أو نمو، وفي علوم التربية والتعليمات التطبيقية لا تستغني عنه أي طريقة مهما كانت توجهاتها النظرية والمنهجية، فهو يساعد على توليد الملكات، وخلق المهارات، وتحسين الأداء، ورفع المردود في جميع شؤون الحياة، فما بالك بميدان التربية والتعليم حيث يقوم -التقويم- بدور فعال في تطوير العملية التعليمية إذ عن طريقه يمكن التمييز بين نقاط القوة والضعف في أي برنامج تعليمي في مختلف المستويات والمراحل التعليمية وقد أثبتت مختلف الممارسات التربوية مدى أهمية هذا الموضوع وضرورته لكل عناصر العملية التعليمية التي تشمل المعلم، المتعلم، المنهج، طرق التدريس، أساليب التقويم.

1. مفهوم التقويم

لغة: من جذر 'ق.و.م' جاء في لسان العرب:

قوم: أقم الشيء وقومته فقام بمعنى استقام [...] والاستقامة: اعتدال الشيء واستواؤه. (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن المنظور الأفريقي المصري، (1955، 1992م)، مجلد 12، ص 500). وفي منجد اللغة والأعلام: قوم الشيء عدله، يقال قومته فتقوم: أي عدلته فتعدل وقوام الأمر وقيامه: نظامه، وعماده، وما يقوم به، وقوم المتاع جعل له قيمة معلومة.

مما تقدم يتضح أن مفهوم التقويم يفيد لغويا: إصلاح اعوجاج الشيء، وفي نفس الوقت إعطائه قيمة لهذا الشيء وتقديره والحكم عليه.

2. اصطلاحا: لقد تعددت تعاريف التقويم من طرف الباحثين وإذا عدنا إلى بعض ما ذكر منها، فإن بلوم يذكر أن التقويم مجموعة منظمة من الأدلة التي تبين قيما إذا جرت بالفعل تغيرات على مجموعة المتعلمين مع تحديد مقدار ودرجة ذلك التغير على التلميذ بمفرده. (محمد الصالح حثروبي، 1999، ص 91).

ويعرفه 'جرولاذ' بأنه علمية تنظيمية لتحديد المدى الذي يحقق فيه التلاميذ الأهداف التربوية الموضوعية، (محمد الصالح حثروبي، 1999، ص 91).

ويعرفه "جون ماري دي كائل" بأنه فحص ومعاينة درجة الملائمة بين مجموعة من المعايير والأهداف المحددة من أجل اتخاذ قرار.

ويعرف التقييم في مجال التربية على أنه العملية التي يتم بها الحكم القيمي على مدى نجاح العملية التعليمية بكافة عناصرها على تحقيق الأهداف المرجوة. (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، 2006، ص 102).

أما مفهوم التقييم في مجال المدرسة فإنه عملية منظمة لجمع وتحليل المعلومات حول البرامج المتعلقة بالمتعلم والمعلم والإدارة والمرافق والوسائل والنشاطات التي تشكل بمجموعها وحدة عملية التعلم والتعليم وذلك للتأكد من مدى تحقيق الأهداف واتخاذ القرارات بشأن هذا البرنامج (نبيل عبد الهادي، 2001م، ص 68).

- ويمكن تعريف التقييم على مستوى غرفة الصف بأنه عبارة عن عمليات منظمة الهدف منها جمع المعلومات وتحليلها لتحديد مدى تحقق الأهداف التدريسية من قبل المتعلمين واتخاذ قرارات بشأنها. إذ يشير هذا التعريف ضمنا إلى ضرورة إعداد الأهداف التدريسية كخطوة أولى في عملية التدريس لأنها عملية صادقة قبل كل شيء. (نبيل عبد الهادي 2001م، ص 68).

- فالتقييم بمفهومه الواسع يتم بوساطتها إصدار حكم على الظاهرة المراد قياسها في ضوء ما تحتويه من خصائص، ثم يمكن أن ننسبها إلى قيمة متفق عليها فمثلا إذا كانت سعة خزان ماء هي موضوع التقييم، وأن سعة خزان الماء المتفق عليها هي 50,3 م فإنه يمكن إصدار حكم على سعة خزان الماء (موضوع التقييم) بأنها كافية أو غير كافية بعد قياسها وتحديد قربها أو بعدها عن القيمة المتفق عليها وهي 50 م، 3. (نبيل عبد الهادي، 2001م، ص 68، 69).

أما ثورنديك وهالك (*Throdike & Helgen*) فيعرفانه بأنه وصف شيء ما، ثم الحكم على قبول أو ملائمة ما وصف (نبيل عبد الهادي، 2001، ص 68).

أما كرون لند (*Cronlund*) فيرى أن التقييم عملية منهجية تحدد مدى تحقق الأهداف التربوية من قبل التلاميذ كما أنه يعد وصفا كميا وكيفيا بالإضافة إلى الحكم على القيمة.

أما ترافوز (*Travers*) فيرى أن التقييم عملية تحدد بواسطتها قيمة ما يحدث. (نبيل عبد الهادي، 2001، ص 68).

-التقييم أيضا: هو علمية جمع معلومات عن التلاميذ، عما يعرفونه ويستطيعون عمله. وهناك طرق كثيرة لجمع هذه المعلومات على سبيل المثال: ملاحظة التلاميذ وهم يتعلمون، وبفحص ما ينتجونه أو باختبار معرفتهم ومهاراتهم. والسؤال المفتاحي في التقييم هو: كيف نستطيع أن نتوصل إلى ما يتعلمه التلاميذ ؟ (جابر عبد الحميد جابر، ص 13).

-أما القياس: فيشير إلى مقدار ما يعطي من قيم عديدة لسمة معينة في وقت معين، وهذا المقدار يوجد بصورة كمية، قد يكون بإعطاء درجة (50) أو (75). (سهيلة محسن كاظم الفتلاري، ص 104).

يتداخل مفهوم القياس بالتقويم لكن يجب التمييز بينهما على أساس أن التقويم أشمل من القياس، بالرغم من أن التقويم يلجأ إلى وسيلة من وسائل القياس وهي الاختبارات. ويبحث القياس التربوي عموماً في قياس الخصائص الموجودة لدى الأفراد، مثل الذكاء والقدرات الفكرية والحركية المختلفة وغيرها.

خصائص توجد بالضرورة لدى كل الأفراد مهما اختلفت أوضاعهم الاجتماعية والثقافية والجنسية وأصولهم العرقية، ويستند القياس على اختبارات موضوعية ومقننة يجعلها تتصف بدرجة عالية من الضبط أما التقويم فيربط بالبيئة التعليمية ومختلف المؤسسات التربوية التي تعتبر المصدر الرئيسي للتغيرات في سلوك الطلاب "في حين أن القياس التربوي يحاول ما أمكن ضبط وإبعاد ذلك المصدر، أي مراقبة أثر البيئة التعليمية على مستوى الذكاء أو القدرات وغيرها مما يردا قياسه. إن القياس يسعى لضبط عوامل البيئة التعليمية للحد من تأثيرها غير المقنن على انجاز الطلاب"، في حين يختص التقويم بقياس الخبرات السابقة عن التعلم. (محمد الدريج، 2003م، ص 181).

على أن التقويم الموضوعي لا بد وأن يبنى على نتائج ومؤشرات مستمدة من القياس حتى تكون قراراته أكثر صواباً، مع توفر مقياس أو معيار للمقارنة، حتى يمكننا الاستناد أثناء إعطاء النتيجة على مرجعية محددة.

أما المفهوم العلمي للقياس (*Measurement*)، يشير إلى الجوانب الكمية التي تصف خاصية أو سمة معينة، مثل ارتفاع سائل، أو حجم كرة، أو ضغط غازي، الاستعداد اللفظي لطفل، أو التحصيل الدراسي لطالب، كما يشير إلى عملية المعلومات، وترتيبها بطريقة منظمة. وبذلك يتضمن مفهوم القياس من هذا المنظور من عملية جمع المعلومات وتنظيمها، وكذلك نتيجة هذه العملية. (صالح الدين محمد علام، 1999، ص 13).

كثيراً ما يحدث خلط بين المفاهيم السابقة التعريف، القياس والتقويم والتقييم. فالقياس يعطي وصفاً كمياً للسلوك، ويحدد سمة معينة أو أكثر لدى الفرد مع تحديد مقدراتها، يتوقف عند هذا الحد ولا يتعداها إلى إصدار الحكم على السلوك أو السمة المقاسة، ولكن إذا أصدرنا حكماً قيمياً مع استنادنا إلى معيار أو محك أداء معين، فإننا بذلك نكون قد تخطينا وصف الدرجة إلى تقويمها والحكم على مستوى الأداء. فإذا كان محك الأداء المقبول 120 مثلاً، فإن الدرجة 130 تفوق المحك

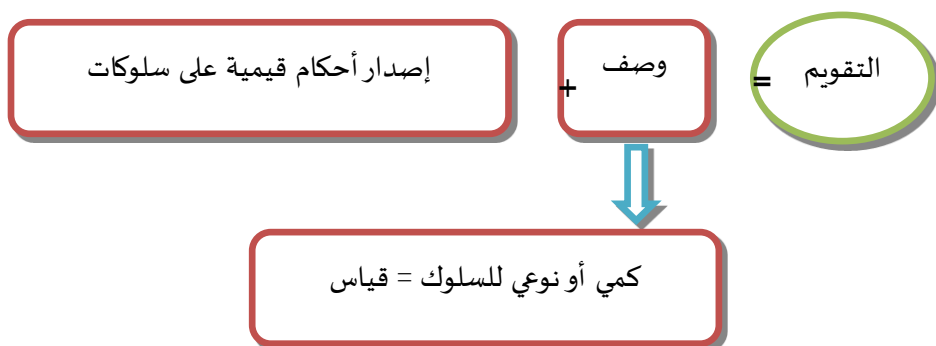
ونحكم عليها بأنها مقبولة، أما إذا قررنا أن الدرجة 130 تناظر تقدير أداء جيد مثلاً، فإننا بذلك نكون قد أصدرنا حكماً كيفياً على الدرجة أو الأداء الذي تمثله.

فالقِيَاس *Measurement* إذن هو الوصف الكمي الموضوعي للأداء Evaluation فهو الحكم الكيفي الوصفي على الدرجة ممثلاً في التقدير النوعي للأداء، وهذا الحكم يفيد في اتخاذ قرار معين بشأن الفرد الذي حصل على الدرجة، أو اقتراح إجراء مناسب له. (صالح الدين محمد علام، 1999، ص 31).

وربما يظن البعض أن التقويم بهذا الشكل عملية بسيطة يمكن لأي فرد غير متخصص أو متمرّس إجرائها، ولكن إذا أمعنا النظر نجد أنه عملية منهجية تتطلب جمع بيانات موضوعية ومعلومات صادقة من مصادر متعددة باستخدام أدوات قياس متنوعة في ضوء أهداف محددة بغرض التوصل إلى تقديرات كمية، وأدلة كيفية يستند إليها في إصدار أحكام أو اتخاذ قرارات مناسبة تتعلق بالأفراد. (صالح الدين محمد علام، 1999، ص 31).

إن القياس يشير إلى مقدار ما يعطي من قيم عديدة لسمة معينة في وقت معين، وهذا المقدار يوجد بصورة كمية، قد يكون بإعطاء درجة (50) أو (75). (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، ص 104)

إن قياس سلوكيات أو إنجازات هو الوصف الكمي أو النوعي لهذه الأخيرة. تستخدم الأعداد للتعبير عن الملاحظات المتعلقة بالسلوكيات، أما التقويم فهو أوسع لأنه يتضمن القياس نفسه. فالتقويم معناه كما ذكرنا سابقاً الوصف النوعي والكمي للسلوكيات بالإضافة إلى إصدار أحكام على هذه السلوكيات بناء على معيار أو محك يمكن توضيح العلاقة بين القياس والتقويم بالمخطط الآتي: (محمد الطاهر وعلي، 1997، ص 30).



أما مصطلح التشخيص فالمراد به تحديد مظاهر القوة ومواطن الضعف في الخاصية أو السمة أو الظاهرة وفق ما تم تقديره وقياسه. (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، ص 103. 104).
والتقدير يشير إلى تحديد الشيء وبيان قدره وفق معايير ذاتية تتعلق بالشخص المقدر معتمداً على التضمين والحدس والظن. (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، ص 103).
3. أدوار التقويم وأهدافه:

إن التقويم بمفهومه العلمي- كما أوضحنا - يختلف بالطبع عن التقويم الذي يقوم به الإنسان في حياته اليومية، فالإنسان العادي يقوم العديد من الأشياء التي يواجهها في حياته اليومية، فهو يقوم الأطعمة التي يأكلها، والأشياء التي يلبسها، والكتب التي يقرأها، والأماكن التي يزورها وغير ذلك. ويتضمن هذا التقويم الحكم على الشيء المطلوب على الرغم من أنه ليس تقويماً علمياً بالمعنى المتعارف عليه ونحن في المجال التربوي مثلاً نقابل كثيراً من الموافق التي نمارس فيها هذا النوع من التقويم الذي يمكن أن نطلق عليه التقويم غير الرسمي، وهو يتراوح بين حكم على حسن تهوية الفصل وإضاءته إلى تقدير مدير المدرسة لفاعلية وكفاءة أعضاء الهيئة التدريسية. (صلاح الدين محمد علام، ص 38).

ولكن يصعب الركون إلى نتائج هذا النوع من التقويم في اتخاذ القرارات التربوية، ومن هنا كان لابد من الاعتماد على التقويم العلمي المنظم.

ومفهوم التقويم من هذا المنظور يمكن أن يطبق في مختلف المواقف التربوية سواء كان تقويم أفراد أو تقويم مشروعات وبرامج فمثلاً يمكن الاسترشاد بهذا المفهوم على مدى فاعلية أنشطة تعليمية معينة وفقاً لمحكات محددة، ومعرفة ما إذا كان تأثير نشاط أو برنامج معين أفضل من تأثير نشاط أو برنامج آخر، وكذلك تعرف المتغيرات التي تأثرت من جراء تنفيذ نشاط أو برنامج معين على جماعة ذات خصائص معينة، كان استخدام أو تنفيذ برنامج معين يوازي كلفة إعدادة وهكذا. (صلاح الدين محمد علام، ص 38).

وبذلك تتعدد أدوار التقويم في المجالات التربوية، فالتقويم دور في إعداد المعلمين وأنشطتهم، وفي علمية بناء المناهج الدراسية، وفي التجارب الميدانية التجديدية المتعلقة بتحسين عمليات التعليم والتعلم، وفي انتقاء أفضل الاستراتيجيات والتقنيات التربوية، وفي الحكم على استمرار برنامج تربوي معين أو تعديله أو إلغائه. كما أن للتقويم دور بالغ الأهمية في متابعة التقدم الدراسي للطلاب وتحديد مستواهم التحصيلي وتوجيههم التوجيه التعليمي والمهني. ولذلك لا ينبغي أن نخلط بين أهداف التقويم وأدواره، فعادة يكون للتقويم أدوار متعددة بل ويجب أن يكون التقويم هكذا بالنسبة لبرنامج تعليمي معين، ولكن ربما يرتبط بكل دور من هذه الأدوار العديد من الأهداف. فمثلاً في علمية بناء منهج معين،

ربما يكون أحد أدوار التقويم تحسين وتطوير المنهج أثناء عملية بنائه، ويرتبط بهذا الدور العديد من الأهداف أو الأسئلة التي تتطلب إجابة مثل: هل أهداف المنهج واضحة وضوحا تاما في أذهان القائمين ببنائه؟ وهل هم متحمسون لبنائه؟ وهل تسير عمليات البناء وفق هذه الأهداف بالفعل؟ وهكذا. وربما يكون لعملية التقويم في هذا الصدد دور آخر يتعلق بمساعدة المسؤولين عن تنفيذ المنهج في اتخاذ قرار بشأن تبرير استخدامه في مرحلة تعليمية معينة وفقا للنتائج التي أبرزتها عملية التقويم في الدور السابق. (صالح الدين محمد علام، ص 39).

أي أن دور التقويم يتعلق بالنشاط المراد تقويمه، أما أهداف التقويم فتتعلق بالأسئلة المراد الإجابة عنها والتي تتبلور حول إمكانية وفاعلية إعداد وتصميم وتنفيذ هذا النشاط. (صالح الدين محمد علام، ص 39).

ولعل هذا التمييز بين أدوار التقويم وأهدافه يزيل التخوف والقلق الذي يعتري كل من يسمع كلمة تقويم *Evaluation* ويؤكد الجانب الايجابي البناء لهذا المفهوم فكثيرا ما ارتبط التقويم بالكشف عن مواطن الضعف والقصور سواء في الأدوات أو الأفراد أو في الإمكانيات المادية والبشرية إلى علامات (نقاط) بل يتعلق الأمر بالحصول على معلومات راجعة (التغذية الراجعة) ستفيد منها كل من التلميذ والمعلم.

- بينما يشير اسكالون (ج) (*G. Scallon*) إلى أن التقويم التكويني هو نظام من التقويم ينص في أوقات عديدة على جمع معلومات ضرورية أثناء تنفيذ برنامج دراسي أو درس، للتحقق الدوري من نوعية تعلم الطلبة ... وظيفية هي الكشف عن مواطن الضعف في عملية التعلم وكذا الصعوبات التي تعترض هذه الأخيرة.

- وبالنسبة لأميغ (ر) (*R. Amigues*) فإن الغرض من التقويم التكويني هو مد التلميذ بمعلومات راجعة، يمكنه استخدامها من تحسين استراتيجياته في التعلم.

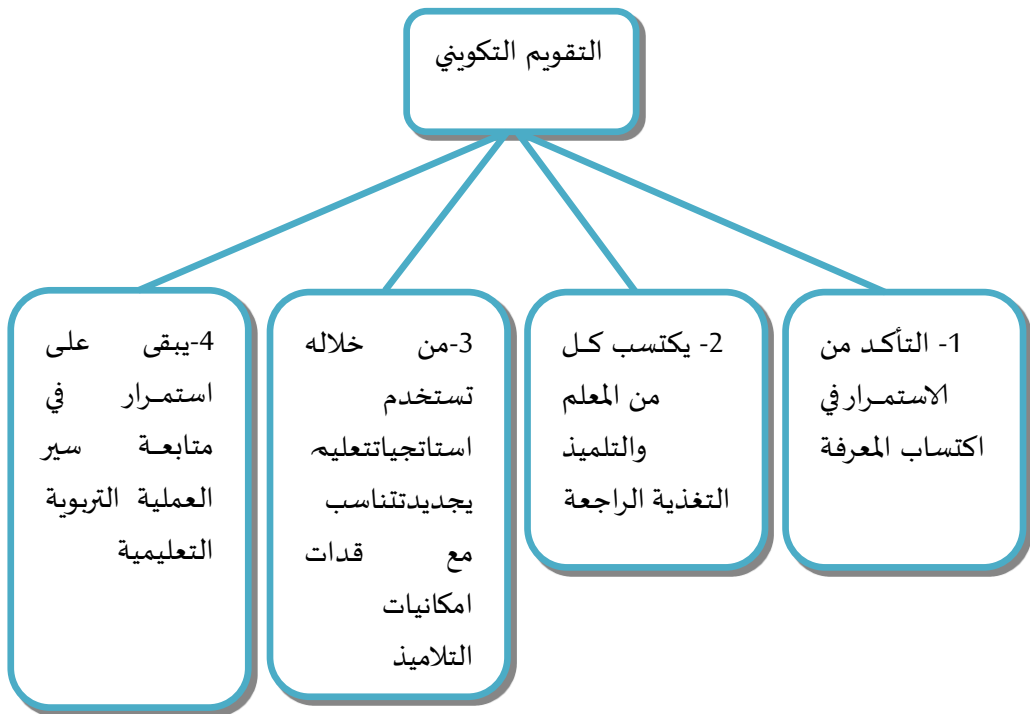
- وأخير يرى بوتيجان (ب) (*B. Petitjean*) أن الغرض الأساسي للتقويم التكويني هو جعل التلميذ مسيرا لتعلمه، بمعنى أن هذا النوع من التقويم متضمن في مسار التعلم، ومستمر، وتحليلي ومركز على المتعلم أكثر منه على النتائج الختامي.

نستنتج من التعاريف السابقة ما يأتي، أن التقويم التكويني. (وعلي محمد الطاهر، ص 18).

- يسعى إلى الكشف عن درجة تقدم التلميذ في تعلمه بشكل مستمر وكذا مقدار تحكمه في المعلومات والمعارف.

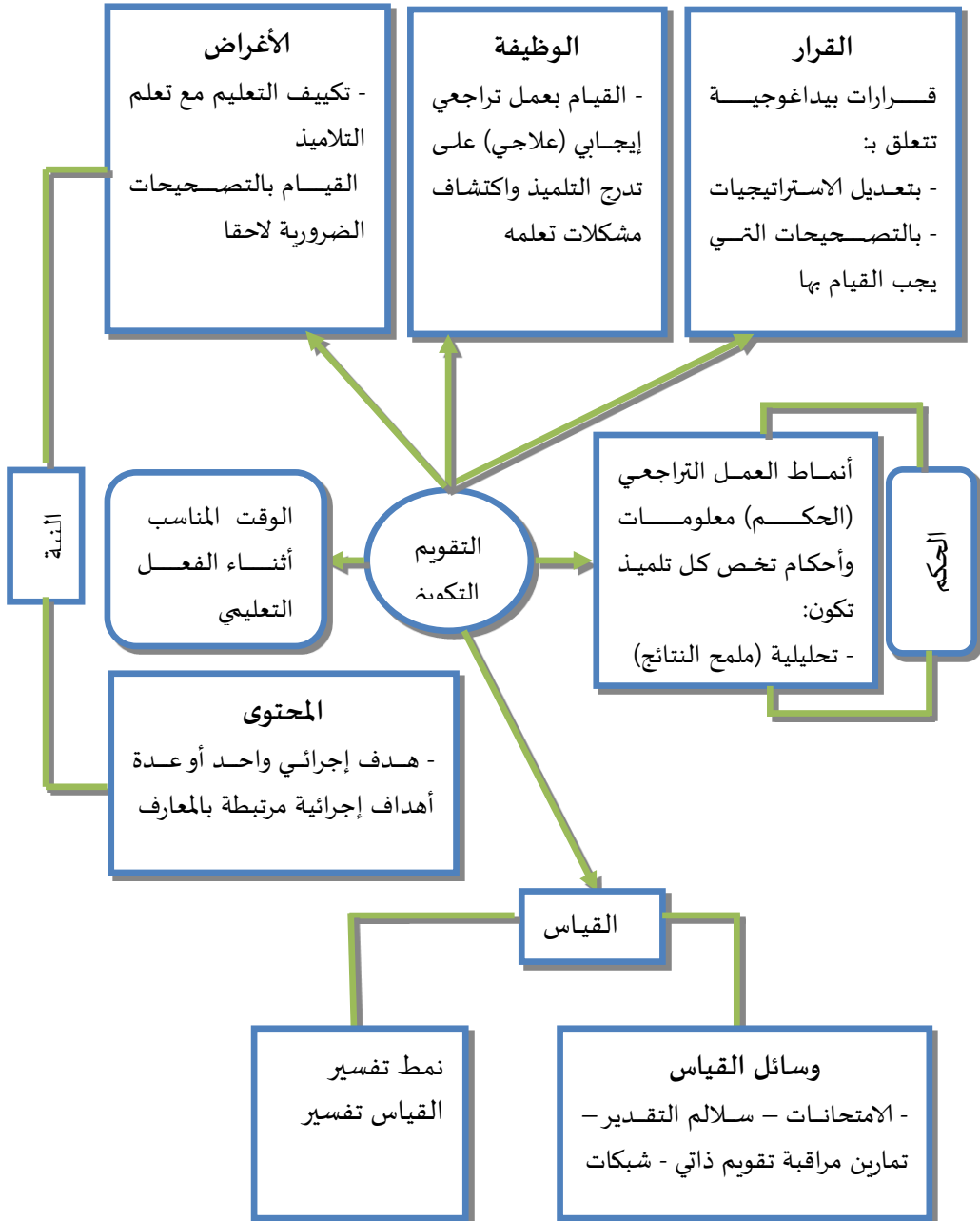
- يرمي إلى التعرف على الصعوبات التي تعترض تعلم التلميذ للعمل على تجاوزها.
- يساعد على تكييف الأنشطة التعليمية التعلمية وفق نتائج المتعلم.
- يساعد على اقتراح الاستراتيجيات اللازمة إتباعها في عملية التعلم.
- يقدم تغذية راجعة تفيد، على حد سواء كلا من المعلم والمتعلم.
- يخاطب التقويم التكويني التلميذ، فهو الذي يعنيه بالدرجة الأولى.
- يقحمه في تعلمه بأن يكون على إدراك به.
- هو جزء من التعلم ولا يفتته.
- يبحث عن التكيف مع الوضعيات الفردية، لذا عليه أن يتضمن جانب من الليونة مع التفتح على التعددية والتنوع.
- يهتم بالمسار والنتيجة على حد سواء.
- لا يتوقف عند الملاحظة فقط، بل يلحقها بعمل ينصب على التعلم و/أو التعليم لأجل ذلك يكشف الصعوبات ويحدد لها العمل على تجاوزها وذلك بالبحث عن أسبابها وليس بمجازاتها كما هو الحال في الاختبار أو الامتحان.
- من وظائف التقويم التكويني كذلك مساعدة التلميذ (كما يفيد المعلم أيضا) بالسماح له عن طريق معلومات راجعة متعددة بالتوجيه الفعال والمرن لتعلمه.
- يؤكد دولندشير على أن مصطلح التقويم التكويني يبين أن التقويم هو جزء لا يتجزأ من المسار التربوي العادي، أما الأخطاء فينبغي أن تعتبر كوقفات في حل المشكل (وعموما كالحظات في عملية التعلم)، وليس كحالات ضعف أو أنها أعراض مرضية. (وعلي محمد الطاهر، ص 19).

من خلال عرض ما سبق يمكن أن نبين أهمية التقويم التكويني من خلال الشكل التالي:



مخطط توضيحي للأفعال المتعلقة بالتقويم التكويني

(يراجع، وعلي محمد الطاهر، ص 22.)



8- التقويم الختامي أو التجميعي: *Sumative Evaluation*:

يعد التقويم الشامل كتقدير نهائي نحكم من خلاله على تحصيل التلاميذ في العملية التعليمية، حيث يتم هذا التقويم في نهاية السنة الدراسية، (القياس والتقويم، الدكتور نبيل عبد الهادي، ص 88). كذلك يكشف التقويم الختامي عن مدى تحقيق البرنامج الدراسي لأهدافه بعد إتمام إجراءات التقويم البنائي المستمر. (القياس والتقويم التربوي والنفسي، الدكتور صلاح الدين محمود علام، ص 40).

ومن خلال هذا النوع من التقويم نضع الدرجات النهائية رقمياً على أساسها نقوم بتصنيف الطلبة بشكل نهائي، ومن ثم نقوم بتصنيفهم والحكم عليهم بشكل موضوعي نهائي، وهذا يتم عن طريق إعطائهم صفات تحصيلية نهائية ومن الأمثل على هذا التقويم الاختبارات التحصيلية التي تتم في نهاية السنة الدراسية التي تعقدها المؤسسات التربوية ممثلاً ذلك في المدارس والمعاهد والجامعات وتشمل اختبارات محكية المرجع ومعيارية المرجع. (القياس والتقويم التربوي، الدكتور نبيل عبد الهادي، ص 88).

من خلال عرض ما سبق يمكن أن نمثل ذلك من خلال الشكل التالي:

(المرجع نفسه، ص 88).

التقويم النهائي

5- تصنيف التلاميذ وتوزيعهم على صفوف وشعب مناسبة لمستويات تحصيلهم (علمي/ أدبي)

4- وضع درجات نهائية وتحديد معايير انتقالهم إلى صفوف أعلى.

3- يمكن تصنيفهم

2- الحكم على تحصيل الطلبة بشكل نهائي

1- الحكم على العلمية بشكل نهائي صالحة أو غير صالحة

2-9- التقويم الذاتي:

هو التقويم الذي يجريه المتعلم نفسه على تعلمه، وتدرجه حتى يتمكن من أن يحدد موقعه على مساره التعليمي، فهو يكسبه الثقة في النفس، ويحفزه على بذل الجهد، ويكشف له عن مستوى تدرجه في هذا النوع من التقويم (التقويم البيداغوجي أشكاله ووسائله، محمد الطاهر وعلي، ص 27). ينبغي أن يصل المتعلم إلى تقويم أعماله ونشاطاته بنفسه، وذلك حتى يتمكن من أن يحدد موقعه على مساره التعليمي. ومنه ينبغي في مجال التقويم الذاتي أن تستجيب الأدوات لمطالب مركزه كلها على التلميذ وذلك:

- لكي يعرف إلى أين يسير

- حتى يكتسب بصفة شخصية الأهداف.

- قصد أن يحدد موقعه بمفرده بالنسبة لمطالب التعلم: اتجاهات منهجيات - معارف.

- ولكي يقف على تقدمه وتحصيله.

- ليقيس المسافة التي قطعها.

يتعلق الأمر إذن في التقويم الذاتي بأدوات موجهة للتلاميذ ويستغلها بمفرده كما هو الحال في المثال الآتي (غطاس شريفة 2007-2008).

أكتب قصة عشتها وعبر فيها عن أحاسيسك (الفرح- الحزن - الخوف) بعد انجاز هذا المشروع الكتابي على التلميذ أن يجري على نفسه هذه التقويمات من خلال هذه البطاقة. أقرأ جيدا ما كتبت وضع علامة (+) في الخانة المناسبة.

لا	نعم	الخطوات
		عبرت في البداية بكلمات دقيقة عن الحالة التي كنا فيها
		استعملت الكلمات المناسبة للتعبير عن أحاسيسي
		وظفت الأفعال التي تعبر عن أحاسيسي
		استعملت الصفات المناسبة
		استعملت جملا قصيرة ومعبرة
		احترمت تسلسل الأفكار
		كتبت بدون أخطاء

-إذا حصلت خمس مرات على نعم فقد كتبت جيدا، أنقل في كراسك. إذا حصلت أربع مرات على لا انتبه راجع ما كتبت وصحح أخطاءك.
خاتمة :

- 1- يقوم القياس على مجموعة من الإجراءات التي تتضمن جمع المعلومات الكمية حول كفاية معينة في مدى التمكن من اكتسابها.
- 2- يقوم التقويم على إعطاء قيمة لعمل معين مبنية على الدراسة والتثمين الدقيق انطلاقاً من محكات محددة.
- 3- يقوم التقويم على تحليل المعلومات المجموعة حول كفاية والحكم عليها من خلال مقارنتها بقاعدة مرجعية بهدف اتخاذ قرار بشأنها
- 4- أنواع التقويم هي
 - التقويم التشخيصي
 - التقويم التكويني
 - التقويم التحصيلي (النهائي)
- 5- المفاهيم التي تبنى عليها عملية التقويم هي:
 - المعارف، الموارد، الطاقات، المهارات، القدرات، المواقف، الأهداف، الكفاية.
- 6- إن تدريس فنون اللغة المتنوعة من استماع، وكلام، وقراءة وكتابة ونحو إذا لم تقوم لسان التلميذ، ولم تجنبه اللحن في الكلام، والخطأ في التحرير، والسطحية في المعاني ورداءة العرض وفقر التصور والخيال، فلا خير فيها.
- 7- التعبير الجيد هو الحصيلة النهائية لتعليم اللغة العربية، كما أنه هو الممارسة الحقيقية لما تعلمه التلاميذ في دروس اللغة الأخرى كالقواعد والقراءة وغيرها.
- 8- أهم الإجراءات التي تساعد في جعل المنهاج متلائماً مع حاجات التلاميذ هي:
 - خصائص التلاميذ
 - اختيار الخبرات التعليمية المتلائمة مع هذه الخصائص
 - إدراك العلاقات المتبادلة بين خصائص التلاميذ وطرائق تعلمهم
 - تنظيم الخبرات للمتعلمين في مواقف تعليمية، وتقديم هذه الخبرات بما يتفق مع طرائق التفكير عند التلميذ.

قائمة المراجع

- ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. ط1. دار صادر. بيروت. لبنان.
- حثروبي، محمد الصالح. (1999م). نموذج التدريس الهادف أسسه وتطبيقاته. دار الهدى. عين مليلة. الجزائر.

- الفتلاوي، سهيلة ومحسن، كاظم. (2006). المنهاج التعليمي والتدريس الفاعل. ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عبد الهادي، نبيل. (2001م). القياس والتقويم التربوي واستخدامه في مجال التدريس الصفّي. ط2. دار وائل للنشر. عمان. الأردن.
- جابر، عبد الحميد. (2002). اتجاهات وتجارب معاصرة في تقويم أداء التلميذ والمدرس. ط1. دار الفكرة العربي. القاهرة.
- طعيمة، رشدي. (2000م). الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية: إعدادها تطورها. تقويمها. دار الفكر العربي القاهرة.
- عبد الهادي، نبيل. (2001). القياس والتقويم التربوي واستخدامه في مجال التدريس الصفّي. ط2. دار وائل للطباعة والنشر. عمان.
- الدريج، محمد. (2003م). مدخل إلى علم التدريس تحليل العلمية التعليمية. ط1. دار الكتاب الجامعي. الإمارات العربية المتحدة.
- علام، صلاح الدين محمد. (1999). القياس والتقويم التربوي والنفسي: أساسياته وتطبيقاته وتوجيهاته المعاصرة. دار الفكر العربي. القاهرة.
- وعلي، محمد الطاهر. (1997). التقويم البيداغوجي أشكاله ووسائله. دار السعادة للطباعة والنشر. الجزائر.
- غطاس، شريفة. (2007). السنة الخامسة من التعليم الابتدائي. الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

اللهجة الحسانية بالجنوب الجزائري بين التنوع والثراء

قراءة في مخطوط ديوان حسان ولد لعرب الجكني بتندوف

The Hassani dialect in southern Algeria between diversity and wealth

A reading in the manuscript of Diwan Hassan weld laerab Al-Jokni in Tindouf

د. بريك الله حبيب *

المركز الجامعي تندوف (الجزائر)

Dr.Habib Brik Allah

University Center Tindouf (Algeria)

habibo1980td@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/15

تاريخ القبول: 2020/11/22

تاريخ استلام المقال: 2020/11/01

ملخص

اللهجة الحسانية هي اللهجة المنطوقة في الجنوب الجزائري، وتنتشر - فضلاً عن مدينة تندوف- في الساقية الحمراء ووادي الذهب في موريتانيا وجنوب المغرب وشمال مالي. وقد نتجت عن امتزاج لغات العرب القادمين من الشرق مع لغات البربر من صنهاجة الملمثمين من جهة، والعناصر الأفريقية الزنجية من جهة أخرى. وتتميز اللهجة الحسانية بغناها المثير بالأنماط التعبيرية الشفاهية المتنوعة؛ ففي مجتمع الصحراء الذي تقل فيه الكتابة ووسائلها، أصبحت التعابير الشفهية هي الوسيلة الوحيدة لعملية التواصل الناقلة للتجارب والحافطة للذاكرة الجماعية. وتضم اللهجة الحسانية تراثاً شعرياً غنياً، يتصف ببجوره وتفعيلاته ومقاماته المتنوعة التي شملت جميع مناحي التعبير. كما تضم كما كبيراً من الأمثال والحكم التي تتميز بارتباطها بالإنسان والأرض.

سوف نتطرق في هذه الدراسة إلى هذا التنوع وما يميزه، من خلال قراءة في مخطوط ديوان حسان ولد لعرب في اللهجة الحسانية؛ وهو أحد علماء مدينة تندوف وأعلامها، الذي ألف في اللهجة الحسانية ديواناً ضخماً

يعتبر مرجعا للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كانت سائدة في مدينة تندوف في القرن 19م. وتأتي هذه الدراسة إضافة جديدة، كونها تهدف إلى محاولة نفخ الغبار، وكشف النقاب عن مكانة اللهجة الحسانية في الجنوب الجزائري كونها ستساهم في الحفاظ على الهوية الجزائرية، وفي تكوين الشخصية الجزائرية التي تتسم بالتنوع اللهجي والثقافي.

الكلمات / المفاتيح: لهجة؛ حسانية؛ مخطوط؛ حسان ولد لعرب؛ تندوف.

Abstract

The Hassani dialect is the dialect spoken in southern Algeria, it spreads - in addition to the city of Tindouf - in Sakia El Hamra and the Gold Valley in Mauritania, southern Morocco and northern Mali. It resulted from the mixing of the languages of the Arabs coming from the East with the Berber languages from Sanhaja on the one hand, and the African Negro elements on the other hand.

The Hassani dialect is distinguished by its interesting singing in various oral expressive styles. In a desert society in which writing and its means are reduced, oral expressions have become the only means of communication that convey experiences and preserve collective memory.

The Hassani dialect includes a rich poetic heritage, which is characterized by its various meters and circles that cover all aspects of expression. It also includes a large number of proverbs and wisdom that are distinguished by their connection to man and the earth.

In this study, we will deal with this diversity and what distinguishes it, through a reading in the Diwan manuscript of Hassan weld laerab in the Hassani dialect. He is one of the scholars of the city of Tindouf and its notables, who composed a huge collection in the Hassani dialect that is considered a reference to the social, cultural, and political life that prevailed in the city of Tindouf in the nineteenth century. This study comes as a new addition, as it aims to unveil the status of the Hassani dialect in southern Algeria, as it will contribute to preserving the Algerian identity. And in the formation of the Algerian personality, which is characterized by dialectical and cultural diversity.

Keywords: Dialect; Hassani; Manuscript; Hassan weld laerab; Tindouf.

1. توطئة

لقد قامت بالصحراء الكبرى مراكز عمرانية وحضارية علمية وتجارية مهمة، من أبرزها مدينة تيندوف، كما قامت مجموعة من الممالك والإمبراطوريات خلال القرون الماضية وخلال القرن التاسع عشر الميلادي فاختلفت أعمارها ومكاناتها، وقواتها في غرب إفريقيا وشمالها. وقد لعبت تجارة القوافل الصحراوية دورا بارزا ومهما في ربط العلاقات والصلات وتحديد طابعها بين هذه المراكز الصحراوية، والمراكز التجارية، والمدن العتيقة، طوال العصور الحديث والمعاصر، حتى قضى عليها الأوروبيون جميعا خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين واحدة تلو الأخرى، وقد جاب الرحالة، والجوالون المسلمون، والمستكشفون الأوروبيون، والتجار، وغيرهم الصحراء الكبرى طولا وعرضا خلال العصر الحديث، وتعرفوا حينها على أوضاع هذه الدول، وظروفها السياسية والحضارية وسجلوا ذلك في كتبهم، ورحلاتهم، ووثائقهم ومساجلاتهم وتركوا لنا الكثير من المخطوطات والوثائق والدواوين والكتب ولعل الكثير منها قد نسخ وكتب باللهجة الحسانية لسان حال المنطقة وجنوب الصحراء.

إن التعامل مع هذه المخطوطات والكتب الوثائق والدلائل التاريخية المحلية ليس بالأمر السهل أو الهين، كونه يحتاج من الباحث إلى دراية واسعة بتاريخ المنطقة الاجتماعي والثقافي، ومعرفة لسان حال المدينة، حيث نجد أن معظم الوثائق أو لنقل جلها والتي سوف يعتمد عليها الباحث في دراسته والتي تحتاج منه إلى تحليل معلوماتها، والكشف عن مضامينها، واستخراج خباياها، قد كتبت ونسخت باللهجة الحسانية المحلية، والتي تحوي وتضم الكثير من المصطلحات والألفاظ الغريبة عن اللغة الفصحى، وكوني ابن هذه المدينة وسليل ثقافتها سهل علي الكثير من الصعاب، وذلك عني العديد من العقبات ولله الحمد نحو استخراج المادة العلمية الوفيرة من هذه الوثائق الدسمة بالمعلومات المهمة، والتي تعد أرضا خصبة نحو كتابة تاريخ المدينة الثقافي والأدبي والاجتماعي وحتى الاقتصادي لأنها تطرقت الى جميع الجوانب السالفة الذكر، وحيث أن خزائن المدينة التي حفظت لنا هاته المخطوطات والوثائق والكتب لم تضم فقط الوثائق الخاصة بالنشاط التجاري والجانب الاقتصادي الذي عرفت بها طبيعة القوافل الصحراوية بل تعداه لعدة مواضيع مختلفة في شتى فنون المعرفة الأخرى ومن هذا المنطلق أوضحنا إمكانية كتابة تاريخ المنطقة الثقافي من جهة أخرى، ومن أجل ذلك ارتأينا أن نخوض غمار البحث في الجانب الأدبي الشعري لكي يأخذ كل جانب حقه من الدراسة والتمحيص.

2. اللهجة الحسانية بجنوب الصحراء النشأة والمنطق:

بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين قبائل بني حسان وبعض القبائل الأخرى في الصحراء هيمنت على المنطقة اللهجة الحسانية على المجال الممتد بين وادي درعة شمالا إلى نهر السنغال جنوبا

، ومن المحيط الأطلس غربا إلى أزواد شرقا، واختفت تقريبا اللهجات البربرية التي كانت سائدة في تلك المنطقة مثل الصنهاجية والأزيرية¹ ولهجة السنغاي²، ولعل من أهم العوامل في هيمنت اللهجة الحسانية واختفاء الصنهاجية وغيرها من اللهجات الأخرى هي مجموعة من العوامل منها الحضارية والسياسية والدينية والاجتماعية (ولد سالم، 2007، ص109)، إذ ساهم الدين الاسلامي في تعزيز الاندماج الثقافي مع دولة المرابطين وكذا تشابه بعض ظروف الحياة، فانتشرت لغة الضاد بين البربر في الصحراء بشكل كبير وسريع (بوغدا، 2017، ص27).

وهكذا استطاعت اللهجة الحسانية أن تسيطر على جزء كبير وفرضت هيمنتها بحيث تخطى الكثير من السكان عن جزء كبير من لهجتهم لصالح لهجة عربية مضرية متأخرة منسوبة لبني حسان، في عملية يمكن تسميتها حرب تعرب وليس تعريب (بوغدا، 2017، ص27)، وأصبح الانتماء الى العرب "فضيلة كبرى" فكان لازاما على تلك القبائل تعلم العربية لتجد لنفسها موضع قدم في الوضع الجديد، كما ان العصبية الحسانية "الغازية" بالتعبير الخلدوني كانت أقوى من العصبية البربرية رغم التفوق العددي للبربر³ ولأن هذا الأخير يحتاج إلى جهد منظم مسند بالفكر والثقافة والمعرفة والدعوة. وأصبحت اللغة العربية عموما واللهجة الحسانية خصوصا لغة التواصل الخارجي والعلم والدين، بينما انحصرت البربرية في الأوساط الأمازيغية ووسط العائلات، خصوصا لدى النساء لأنهن أقل اتصالا بالعالم الخارجي.

3. تعريف اللهجة الحسانية:

تعتبر اللهجة الحسانية من بين أقدم اللهجات إذ عرف انتشارها إلى ما قبل القرن 8هـ/14م (بوبا لعتيك، ص224)، وهي اللهجة التي نتجت عن التزواج اللغوي للغة العربية الفصحى واللغة الأمازيغية مما نتج عنه خليط عربي أمازيغي عرفت به أغلب أقاليم الصحراء الافريقية بدأ من تيندوف بالجزائر وسوس بالمغرب وتوات وسجلماسة وشنقيط بموريتانيا، فالتصاهر بين السوسيين

¹ مزيج من الصنهاجية والسوننكية "السودانية" وكانت مزدهرة في مدن ترني وولاتة وتيشيت وودان، وشنقيط، وكانت هذه اللهجة رائجة في طريق ومدن قوافل الملح بين السوننكيين والمسوفيين.

² كانت رائجة في عهد الرحالة الحسن الوزان أي في القرن 16 ميلادي حيث يقول متحدثا عن لغة أهلها: (يتكلم أهل هذه البلاد لغة تسمى سنغاي) ليون الافريقي، وصف افريقيا، الجزء2، ص: 162، وسنغاي قبيلة كانت تسكن النيجر حول الغابات الاستوائية، أسست دولتها حوالي القرن الأول للهجرة، قبل أن تضعف ويتولى أمرها الأسكيون، وسنغاي لهجتها نسبة إليها .

³ يحيل صاحب المرجع السابق إلى نظرية ابن خلدون المتمحورة حول ولع المغلوب بتقليد الغالب .

والصحراويين عامة أنتج هذا الخلط بين اللهجتين وأنتج مجموعة من المظاهر الثقافية واللغوية المشترك فيما بينها، ولا زالت هذه اللهجة المحلية باقية ومتداولة بين أفراد المجتمع التيندوفي، وخاصة عند الأسر المحافظة والتي لم يخلط عليهما أي عنصر بشري دخيل، ولعل الزائر للمدينة يلحظ هذا الأمر من أول وهلة ويتضح له ذلك من خلال التعامل المباشر مع سكانها .

4. الثقافة الشعبية الحسانية:

وإذا أردنا الحديث عن التراث الحساني والثقافة الشعبية فإنها ثروة كبيرة من الانتاج الأدبي والعادات والتقاليد والقيم، التي خلفها جيل من السلف لتنتقل إلى الجيل الحالي وتعتمد الثقافة الشعبية في الصحراء على الشفوية اعتمادا كبيرا مستعينة بالرواية والحفظ أكثر من الكتابة والتدوين نظرا لوجود بعض العوامل المساعدة في ذلك ، ومن ثم تتعرض للنسيان والتجاوز بفعل عوامل التاريخ، ولهذا كانت قوة الحفظ والذاكرة معروفة عند أهل الصحراء بسبب قلة التدوين والكتابة، ولذلك تعتبر المبدأ الأول في العلم وعلى أساسها يكون التفاوت بين المثقفين فالراوي الحافظ أفضل من الراوي الذي ينسى وحجية الأول في العلم أكبر من حجية الثاني (أديوان، 2001، ص151) ، ولعل الكثير من المصادر التاريخية تشير إلى عدد كبير من العلماء والأسماء اللامعة في مجال العلم والتي كانت تحفظ المتون الكبيرة كأمثال سيد أحمد الولي بن أبي بكر المحجوبي (ت: 1095هـ/1683م) قاضي ولاتة كان يحفظ مقامات الحريري كاملة وكان العالم محمد محمود بن أحمدزيه الحسني(ت: 1323هـ/1905م) كان يحفظ مقامات الحريري والكامل للمبرد والمستطرف والوسيط ودواوين المتنبي وأبي تمام والبحري وغيرهم، وهذا العلامة عمار ولد لعرب الجكني التندوفي صاحب ديوان حسان والذي ألف وعمره لا يتجاوز 32 سنة وغيرهم من العلماء الآخرين، وتعتمد الثقافة الشعبية في الصحراء على العامية، أي اللهجة الحسانية هذه الأخيرة التي تنطق كما تكتب ويسمى هذا النمط ب: " لحراش " وهو التقاء الساكنين، مثل: كوم أي قم ، وكلت أي قلت ، كما تتميز اللهجة الحسانية بتسكين أوائل الكلمات وكذا اختلاف تصريف الفعل مع بعض الضمائر، وتسكين الحرف الذي يلي لام التعريف وقلب القاف غينا او كافا فوقها ثلاث نقط، وزيادة بعض الحروف مثل الجيم المصرية (بوغدا، 2017، ص43) .

5. مراحل تشكل اللهجة الحسانية:

يرى الباحث محمد ولد أخطانا أن اللهجة الحسانية مرت بثلاثة مراحل في تشكلها ولم يأتي على ذكر تاريخ بداية ونهاية كل مرحلة ويقسمها الباحث إلى المراحل التالية:

1.5. المرحلة الأولى: المحطة المغاربية وتتميز بخلوها من المصطلح المكاني للغب الصحراوي والمصطلح اللغوي الصنهاجي (ولد أخطانا، 2013، ص18).

2.5. المرحلة الثانية: محطة الغرب الصحراوي وتتميز بذكر الأماكن والمعالم المحلية في الغرب الصحراوي، دون استعمال غيرها من المصطلحات.

3.5. المرحلة الثالثة: محطة التوطن والثقافة وتتميز بوجود ذكر المعالم والأمكنة المحلية واستعمال الألفاظ والأبنية الصرفية الصنهاجية في اللهجة الحسانية.

6. الأثر والتأثير:

كغيرها من اللهجات الأخرى فقد تأثرت اللهجة الحسانية أثناء نشأتها بعدد من المكونات اللغوية الأخرى كل واحدة حسب جاءت حسب ظرف معين وسياق معين فهي مزيج بين العربية الفصحى وبعض اللغات الأوبية كالفرنسية والاسبانية والصنهاجية والزناكية كما يرى الباحث عبد الحكيم بوغدا (بوغدا، 2017، ص44) ولذلك عرفت هذه اللهجة غنى في تراكيها أدى إلى وجود فوارق بين الناطقين بها في مجال تداولها.

وسوف نعطي أمثلة على علاقتها الاندماجية بينها وبين اللغات التي أسلفنا ذكرها ليتضح المعنى ويظهر سياق التداخل، وقد جاء الاعتناء بها من قبل علماء الصحراء لأنه أقرب إلى الفصحى من أي لهجة أخرى وهذا القاضي: "محمذن بن أحمدو فال التندغي الذي نظم في هذا التداخل نظما بين فيه ذلك حيث قال :

الأصل في ذي اللغة الحسانية	تغييرها للغة العربية
ورب ألفاظ ترى وما بها	تغير خذ بعضها يا نيا
و"دبش" أثاث بيت وسقط	متاعه محرك بلا شطط
و"دغفق" الماء كثيرا صبه	ودغفق المطر أبدى صبه
"تبعصر" تبرعص ترادفا	تحرك ثم اضطرب ألفا
جاء "سهللا": بمعنى ليس في	عمل دنيا ولا أخرى تفي
و"فش" وطبه إذا أخرج ما	فيه من الريح كما للقدم
و"حدج" محرك للحنظل	والعلقم الحنظل أن تمثل
و"شاط" زيت ثم سمن نضجا	حتى إذا إلى احتراق خرجا

"تمطق" الرجل أي تذوقا

وقد أتى في بيت الأعشى¹ منتقى (ابن منظور، 1988).

و"شاطط" القدر إذا الشيء لصق
ورجل "يهبش" للعيال أي
بوزن يضرب و"سلت" الشعر
و"بالشظاظ" سم عودا يدخل
شيء يشد بالحبال ويكون
وزينت هند البنات "حفلت"
بناتها وهي كذا تحفلت (بن الطلبة، 2010، ص41-42)

الفصحى واللهجة الحسانية: ومن بين الكلمات التي لها أصل في الفصحى ومتداولة في اللهجة الحسانية على سبيل المثال:

غَاوِلْ: أسرع في مشيته، وفي اللسان المغاولة المبادرة في الشيء.

رُطْلْ: رطن أي تكلم كلاماً أعجمياً أو غير مفهوم.

إنين: يئن أي صوت الألم.

زغرت: زغرد أي أصدر صوتاً من حلقه.

إتوت: يتأتى أي ترديد التاء عند الكلام.

الترش: في القاموس الترش خفة ونزق.

أهيه: كلمة تقال عند التذكرو لعل أصلها هه في القاموس هه كلمة تذكر.

كرسع: لجلسة غير متمكنة، قرصع الرجل انقبض وقرصع في بيته جلس وتقبض.

درباه: ألقاه من الأعلى ، القاموس دربى فلانا يدربيه ألقاه.

7. الصنهاجية واللهجة الحسانية:

وقد تركت الصنهاجية أثراً وبصمة واضحة في اللهجة الحسانية فهذه أسماء الأماكن والآبار

والعائلات والنباتات والقبائل والأعلام فضلاً عن بعض الصبغ التعبيرية أصلها صنهاجي، وعادة

الصنهاجية أنها تبدأ المذكر بـ "أ" والمؤنث بـ "ت" ومن أمثلتها:

¹ البيت المشار إليه هو:

ترك القذى من دونها وهي دونه إذا ذاقها من ذاقها يتمطق.

تسوفرا: حقيبة نسوية تضع فيها النساء مقتنياتهن.

تيدكت: نوع من المسك المعروف في الصحراء أصفر اللون ويجلب من اليونان وهو غالي الثمن.

إيكاون: المغني.

أزوان: الغناء.

تيشيرت: الفتاة الصغيرة.

أفكراش: الشاب الفقي.

أركاج: الرجل.

وغيرها من الكلمات والألفاظ التي لازالت تتداول في اللهجة الحسانية ولم تختفي نظرا

لتداولها الواسع بين الناطقين بها.

اللغة الأوروبية واللهجة الحسانية:

وقد عرفت اللهجة الحسانية بعض المفردات الأوروبية بسبب تواجد المستعمر الفرنسي ابان

الفترة الاستعمارية لأنه من بين أهم عوامل ووسائل الغزو الفعالة التي اعتمد عليها المستعمر في

الاستعمار ولعل أهمها اللغة الإسبانية وسوف نأتي على مثال لذلك:

الإسبانية:

الموتشيرة: أي الولاة.

اللمبة: المصباح.

كونجياتور: الثلاجة.

وتة: أي سيارة.

بالا: مجرفة.

الفرنسية:

لكرطابل: المحفظة.

كوري: البريد.

كاطو: الحلوى.

بريكة: ولاعة.

تايو: أنبوب الماء

اللهجة الزنجية والحسانية:

وقد عرفت أيضا اللهجة الحسانية وجود بعض المفردات من التأثير الزنجي خصوصا جنوب وشرق موريتانيا وغرب افريقيا عموما، والتي لاتزال حاضرة في التداول اللفظي إلى وقتنا الحاضر وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

المامي: وتعني رجل الدين

قرتا: الفول السوداني.

ديدي، ممدو، كمبانة.

ولعل من أهم أسباب هذا التنوع والثراء الذي تمثله اللهجة الحسانية في مختلف تراكيبها وأنساقها ومفرداتها هو انطلاقها مما يسمى بالمحاضر الصحراوية التي حملت معها أمانة الفكر والعلم والأدب فهذه حاضرة تندوف التي يعود تأسيسها إلى ما بعد تينيكي ، وقد ارتبطت حاضرة تندوف ارتباطا وثيقا بالتاريخ الأدبي والثقافي والعلمي وظلت منارة طيلة القرون الفاتنة وإلى غاية الآن وقد لعبت تندوف في ذلك دورا كبيرا ولعل توافد العلماء عليها والطلبة ومريدي الفتوى لطلب العلم والتعلم خير دليل على ذلك فهذا العلامة محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي صاحب الرحلة الحجازية الجزء الخاص بتندوف (المختار الولاتي، 2011) وهذا ابن طوير الجنة صاحب رحلة المنة والمنى^(بن) (الطلبة، 2010، ص41-42) وهذا العلامة الكاملى الدرعي وغيرهم من العلماء الآخرين.

8. الشعر الحساني :

يعتبر الشعر الحساني من أهم أشكال التعبير في الصحراء، فقد تفوق أهل الصحراء وخاصة تندوف في الشعر فصيح وشعبي وشهد لهم الكثير في ذلك، وكانت لهم مساجلات كثيرة من خلال أشعارهم ودواوينهم، فهذا عمار ولد لعرب الرمطاني الجكني التندوفي¹ يؤلف في ذلك ديوانا ضخما سماه ديوان حسان في لسانهم وألسنة السودان والأعاجم (بريك الله، 2015، ص84).

ديوان حسان حسان ولد لعرب الجكني التندوفي:

وقد ألفه صاحبه ونسخه سنة 29 جمادى الأولى عام 1303هـ الموافق لـ 4 مارس 1886م، وبذلك تكون سنة تأليفه هي سنة نسخه، والمخطوطة التي بين أيدينا مخطوطة أصلية وحيدة بالعالم، لها من

¹ وقد كان حيا زمن إتمام ديوانه بتاريخ 29 جمادى الأولى عام 1303هـ/ 05 مارس 1886م، وكان عمر آنذاك 32 سنة.

الأهمية الأدبية والفنية ما يجعلها تتنافس والدواوين الأخرى في هذا الفن، وهي مخطوطة نادرة وفريدة في فنها، نظمها صاحبها في 81 ورقة أي 126 صفحة بحوالي 14 سطرا بكل صفحة، ومقاسها 18 سم x 24 سم.

بدايتها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما مبارك الابتداء ميمون

الانتهاء

الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما دائما بدوام الأبدى لا ينتهي، وبعد فإن العبد الضعيف الحقير الذليل المذنب الخاطيء كثير الزلل الراجي عفو مولاه، المتمسك بجاه استاذة مولاي أحمد ابن سيدي محمد وجاه أستاذة السيد محمد ابن القاسم وجاه أستاذة مولاي أحمد التجاني بجاههم إلى رسول الله وجاه رسول الله ﷺ إلى وجهك الكريم في غفران ذنوبه وستر عيوبه ورضى والديه والفقر إلا لك والخف إلا منك والتواضع إلا لك ونق قلبه من الحقد والحسد وقول الزور ومن جميع الأفعال السيئة الكثيرة التي عم البلواء بها نسألك يا الله بك ولا نسألك بأحد غيرك.

يا ولي يا متين يا مدبر يا قدير يا ذا الجلال والاكرام يا من هو حي لا يموت يا أرحم الراحمين يا رب العالمين يا ولي المتقين يا من لا يحتوي عليه زمان ولا يختص بمكان دون مكان يا ذا العزة والجبروت يا الله يا الله يا بديع السموات والأرض يا من لا تخفى عليه خافية يا بصير بالعباد يا متفضل يا منيع يا من لا إله إلا هو يا أزلي يا أبدي يا دهري يا ديمومي ادخلي في حضرتك بمحض فضلك تحت لواء حبيبك ونبيك محمد صل الله عليه وسلم اغفر لي ولوالدي وجميع المؤمنين برحمتك التي وسعت كل شيء.

عمر بن الأعرب بن مولود بن محمد بن الحرطان بن الطاهر بن بوبكر الجكني الرمضاني المسعودي التيندوفي أراد أن يصنع كتابا على لسان أبناء جنسه وأني وردت مناهلا فيه لم يردها أحد منهم قبلي أي من أبناء جنسي وهم أبناء حسان مع علمي أن فوق كل ذي علم عليم والله الموفق للصواب وإلى باب المئاب إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسميته بديوان حسان وهو على أبواب منها ما هو في الأبتي ويقابل الطويل ومنها ما يقابل الخفيف واسمه البير ومنها ما يقابل الوافر واسمه مريميدا والحاصل على هذا الترتيب كله إلى ما يطول

ذكره ولكل شيء من هؤلاء باب وألوان منها ما للمدح ومنها ما هو للوجد والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

الباب الأول من الأبيات في مدح أستاذي مولاي أحمد بن سيدي محمد الكامل.

نهايتها:

وكان الفراغ منه في سبع سوانع عند انتهائهم ليلة السبت وهي تسعة وعشرون مضت من شهر الله جمادى الأولى عام 1303 اعبيد ربه عمر بن الأعرب بن مولود بن محمد الحرطان ابن سيد الطاهر بن بكر الجكني الرمضاني المسعودي التيندوفي التيجاني كان له له ولوالديه وليا ونصيرا وصل الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا ووسيلتنا إلى ربنا محمد ﷺ تسليما والحمد لله رب العالمين.

بحر لبنتيت وما قيل فيه في الديوان وهو في مدح أحمد بن سيدي محمد الكامل:

باسمك يا لاله ابتديت	وأنا داير عندك الأعوان
واعل جمع الرسل صليت	متوجه بكتوبك يا الديان
بالانجيل بالتوريت	وبالزبور وبالفرقان
وبمحمد ذاك اصفيت	قلب من سابق الأكوان
بالعشر ديك لي وليت	وبشره هو بالعدنان
بجميع ال قاع اصطفيت	تقين من حر النيران
وقين بالله من وخزيت	وقين من باس الشيطان
واستره ياك ان لقيت	اعدوي يا لحي السبحان
واعف عن كان اتوفيت	وثبتني على الايمان
واغفر لي زاد الوسيت	من فعل اعلى ما يزيان
وامن أنذنوب بالله اشكيت	امحيم عن يا السبحان
يا ملانا هذا الاقيت	اجعلي للحي المنان
امن اعبيدك ذوك العزيت	إل مبشر بالرضوان
وال عن بالله اقضيت	اجميع احقوق أهل الزمان
وأل عن ذنب مضيت	واصبح ينعدا أمن الصبيان
وال قلب بالنور احشيت	وال جنبت للعصيان
يا ملانا هذا العديت	اجعلي مني بالحنان
اموجه لك بالله البيت	ال مرفوع ابلا بيان

متوجه يالله بالفرقان	لا تحرمني بالله ما ريت
وبسورت طه والسبحان	البيت ازرت اووليت
واياهم عم والرحمان	ابحرمهم يا رب جيت
افقراش أخيار البضان	تحجب يا الاله الصمد
يسو عند معه الاكفان	ال عن ستر ما يصمد

9. تراكيب الشعر الحساني (بوغدا، 2017، ص27):

- ❖ لبيت: البحر، ويتم عد الحركات دون السواكن.
- ❖ لحر: الأشر الثلاثة الأولى من الطلعة وهي على روي واحد، وتشبه ما يسمى في العربية بالتسميط.
- ❖ الطلعة: شكل من أشكال القصيدة الحسانية، تستهل بثلاثة " حمر " ثم تتبع الحمرة الكسرة وهي الشطر الرابع بعد الحمر بروي مغاير ثم يبني سائر القصيدة على ذلك المنوال.
- ❖ تافلويت: الشطر الشعري.
- ❖ الصبة: شكل من أشكال القصيدة الحسانية لا تختلف عن الطلعة إلا باستغنائها عن الحمر، غير أنه لا حد لطولها ، وغالبا ما ينحصر موضوعها في الفخر والمدح والرواية.
- ❖ القاف: أقصر وحدة شعرية، وهو أربعة أشر يكون روي الأول منها على روي الشطر الثالث والثاني على روي الرابع، وهناك أنواع للقاف منها:
- ❖ المربع: الذي ذكرنا.
- ❖ المستت: أضافة شطرين على المربع بالروي نفسه، حيث يكون الشطر الخامس على روي الشطر الثالث والسادس على روي الرابع.
- ❖ المثمان: على نسق المستت نفسه يبني المثمان.
- ❖ أملخ: أربعة أشر الأول يشبه الثالث في القافية.
- ❖ العكرب: الشطر الرابع ويأتي بروي مختلف عن الأشر الثلاثة الأولى.
- ❖ الكدعة: المحترك الذي يليه ساكنان.
- ❖ التدنيت: آله تشبه العود العربي قبل أن تثبت فيه الملاوي ، وهي كلمة أصلها صنهاجي أصلها " تيز ان إيذ أي ذات، ان أداة وصل للنسبة، وايد أي وهو مصدر لفعل " أوه " أي ضرب أو عزف ومجموعها يعطينا كلمة " العزفية " أو ذات العزف أو أداته.
- ❖ أردين: معناها معزف أو مضرب الجارية.

10. بحور الشعر الحساني:

وأما بحور الشعر الحساني فيصعب تحديدها لتداخل معاييرها المحددة للوزن في وزن واحد، كعدد المتحركات والتقاء السواكن والتصريع والتشكيل وغيرها من الأمور الأخرى، وختلف الشعر الحساني عن بحور الشعر العربي الفصيح في عدم احتساب السواكن وهذا لا يعني اهمالها لأن توزيعها داخل البيت هو الذي يميز البحور.

وأما بحور الشعر الحساني فمنها ما هو متداول ومنا ما هو مهمل ويصل عددها حسب الباحثين إلى ثلاثين بحراً ويزيد أو ينقص قليلاً بينهم، وأكثرها تداولاً بحر "لبتيت" وهو يقابل الطويل ومنها ما يقابل الخفيف واسمه "لبير وتيكادرين" ومنها ما يقابل الوافر واسمه "مريميد وبوعمران" ومنها كذلك الواكدي، انكادسو لمسقم "يقابلها بحر الرمل.

وفي ذلك ينشد الشيخ محمد المامي بيتين في مقابلة بحور الشعر الفصيح بالشعر الحساني بقوله:

طويل مقابل لبيت ومريميدة ظهر لوافر
ولبسيط عليهم ببيت مقابل لبير لكافر

واليك تعريف كل واحد منها لتعم الفائدة ويتضح المعنى فنقول ما يأتي:

لبير: يعتمد في وزنه على سبعة متحركات، وهو من أغزر البحور نظماً وغالباً ما ينظم في الحنين ووصف الطبيعة.

لبتيت التام: يعتمد في وزنه على ثمانية متحركات عكس "لبتيت الناقص"، وهو بحر الغزل والغرام والشوق والعواطف، كما هو حال لبتيت الناقص.

لبتيت الناقص: سمي بالناقص لأنه ناقص بمتحركين عن "لبتيت التام" ويعتمد في وزنه على ست حركات في كل شطر من أشطاره.

مريميدة: يعتمد سبع متحركات، يصلح هذا البحر للإنشاد الملحي والتغني بالبطولات وسرد الوقائع والأحداث، شأنه في ذلك شأن بحر تيكادرين.

تيكادرين: يعتمد على سبع حركات، الشعر الذي ينظم في هذا البحر يكون على مقام "فاقو" المرتبط بالحرب والاستعداد للنفير والتعبئة العامة.

وهناك الكثير من البحور الأخرى كبوعمران، والصغير والتيدوم، وحثو الجراد، واحويوص، واتهيدين، والمطروح، وغيرها من البحور الأخرى التي يطوا ذكرها وتختلف أوزانها، ولكل بحر من هاته البحور مقام موسيقي يقابله فمثلاً:

بحر بوعمران يقابله المقام الموسيقي التالي:

دَانْ دَانْ أَدَنْ دَانْ دَانْ أَدَنْ.

وأما بحر مريميدة فيقابله المقام الموسيقي التالي:

تَنْدَانْ تَنْدَانْ أَدَنْ تَنْدَانْ تَنْدَانْ أَدَنْ

11. أغراض الشعر الحساني:

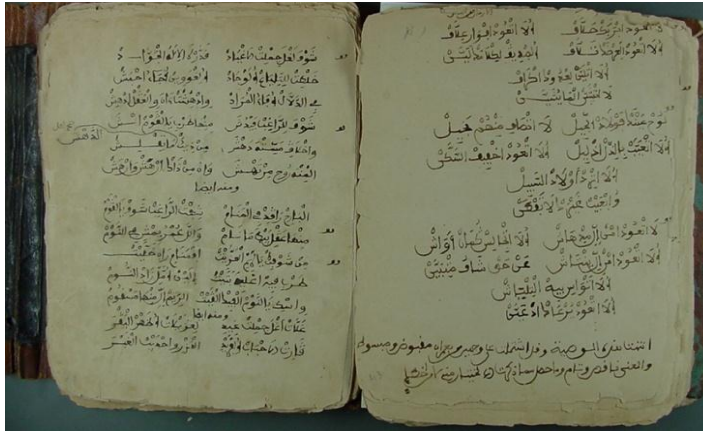
يشير الباحث عبد الحكيم بوغدا في كتابه إلى أن أغراض الشعر الحساني لا تخرج عن الأغراض المعروفة في الشعر العربي الفصيح، ومنها الممدح أو "التمجيد"، والمديح، والبكاء، على الأطلال، والغزل أكثر الأغراض نظما، ثم الفخر، فالثناء، والهجاء، وله أيضا ما يعيبه من قبيل "الليط" أو الإيطاء في الشعر العربي الفصيح، و"الرئي" أي صوت الطير، ومنه تعلق هذا العيب بالصوت، و"أظلاع" الآتي من العرج، ثم "لعور" أن يأتي الشاعر بكاف لا تتطابق قوافيه، يقابله في الشعر العربي الإكفاء، وأخيرا "الحشو" بادخال كلمات لا معنى لها (بوغدا، 2017، ص 61).

نماذج من صور

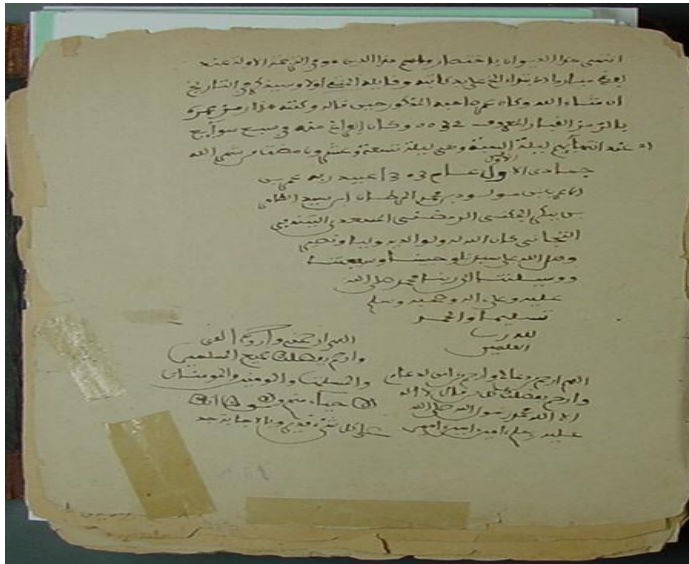
المخطوطة



الصفحة الأولى من المخطوطة



من وسط المخطوطة



الصفحة الأخيرة من المخطوطة

قائمة المراجع

- الطالب، بوياء لعتيك. الصحراء وسوس من خلال الأدب الحساني. ندوة حول الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات.
- بريك الله، حبيب. (2015). العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية من خلال الوثائق المحلية. رسالة دكتوراه.

- ولد سالم، حماه الله. (2007). تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية. (الطبعة 2). مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.
- بوغدا، عبد الحكيم. (2017). ظاهرة التبراع في الشعر النسائي الحساني: دراسة في النسق السوسيولوجي والثقافي والجمالي. منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية. فاس. المغرب.
- أديوان، محمد. (2001). النسق الثقافي المشترك بين سوس والصحراء ضمن كتاب الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات. (الطبعة 1). مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.
- الطلبة، محمد بن بتار بن. (2010). الشعر الموريتاني الملاحون لغن، خطوة نحو الاكتشاف. مركز نجيبويه. القاهرة..
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1988). مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر (الطبعة 1). (تحقيق، روحية النحاس). دار الفكر. دمشق. سوريا.
- ولد أحظانا، محمد. (2013). "شعر الحسانية: السياق والبنية والتوظيف". مجلة الموكب الثقافي، صفحة 18.
- الولاتي، محمد يحيى بن محمد المختار. (2011). الرحلة الحجازية (الجزء الخاص بتندوف). دار الإرشاد.

اللغة والمجتمع (العلاقة والأهمية) Language and society (Relation and importance)

أ.جموعي تارش *

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر (ورقلة - الجزائر)

Prof. Jmouai Tareche

Center for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development
Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria (Ouargla-Algeria)

Jmouai.tareche86@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/15	تاريخ القبول: 2020/11/26	تاريخ استلام المقال: 2020/11/04
-------------------------	--------------------------	---------------------------------

ملخص

اللغة نظام جماعي ومظهر من مظاهر وجود المجتمعات والتي بواسطتها تحافظ على كيانها وعنصر ضروري لتماسك وترابط وحدات المجتمع. تأتي هذه الورقة البحثية لنتناول فيها الحديث عن اللغة والمجتمع من حيث العلاقة والأهمية، ومن حيث عاملي التأثير والتأثير، باعتبارها أداة التواصل في المجتمع حسب ما تواضع عليه أفراد كل مجتمع.
الكلمات /المفاتيح: لغة؛ مجتمع؛ تواصل؛ تأثير؛ أهمية.

Abstract

Language is a collective system and an aspect of the existence of societies through which it preserves its being and a necessary element for the cohesion and interdependence of the units of society. In this research paper, we deal with language and society in terms of relation and importance, and in terms of influence and impression factors, as a tool for communicating in the community as agreed by the members of each community.

Keywords: Dialect; Language; Society; Communication; Effect; significance.

مقدمة

تعتبر اللغة من المقومات والثوابت الأساسية لكل أمة، ولذلك سعت الأمم منذ القديم جاهدة إلى الحفاظ على تراثها اللغوي وذلك حتى يبقى ساريا على الألسن ومتداولاً بين أفراد المجتمع ومتوارثاً من جيل إلى جيل، فاللغة هي المرآة العاكسة لهوية كل مجتمع والمبيّنة لانتماء كل فرد. وقد عملت من أجل هذا الهدف بشتى الطرق والوسائل، فمنها من حافظت على لغتها ومنها من انقرضت وماتت لعدة أسباب وعوامل. وخاصة تلك اللغات القديمة التي كانت منتشرة في الحضارات الإنسانية الأولى. ولعل أبرز الطرق التي استخدمت من أجل الحفاظ على اللغة هي تدوينها في الألواح وجلود الحيوانات مثلما قام به الآشوريون والبابليون، ومع التطور الذي شهدته الحضارات وظهور الورق أصبحت ألفاظ اللغات ومفرداتها تحفظ في الكتب والمجلدات كما حدث بالنسبة للغة الإغريقية واللاتينية. إنّ هذا الأمر كلّه يدلّ عن الوعي اللغوي الذي بلغه الإنسان آنذاك وإدراكه لأهمية اللغة التي يعبر بها عن أفكاره ومشاعره ويتواصل بواسطتها مع غيره من أفراد المجتمع. إنّ هذا الأمر كلّه يدلّ عن الوعي اللغوي الذي بلغه الإنسان آنذاك وإدراكه لأهمية اللغة التي يعبر بها عن أفكاره ومشاعره ويتواصل بواسطتها مع غيره من أفراد المجتمع. وبالحديث عن اللغة العربية فإننا نجد أنها قاومت عبر العصور وصمدت في وجه عدة تغيّرات، وحافظت على نفسها، ولعلّ هذا راجع لعدة أسباب منها ما هو متعلق بطبيعة الفرد العربي من خلال تعلّقه وتمسكه بلغته سواء قبل مجيء الإسلام أو بعده، ومنها ما هو متعلق بسبب عقائدي كونها اللغة التي نزل بها القرآن وهو ما زاد من تمسك العربي بلغته. إنّ ما يجمع ويوحد المجتمعات العربية هو عامل اللغة الواحدة التي تتكلمها هذه المجتمعات إضافة إلى عامل الدين، وهو ما يجعلها ذات هوية واحدة وانتماء واحد فيما بينها.

1. اللغة والمجتمع:

اللغة هي أداة التواصل بين الناس ووسيلة للتفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، فهم يتعاملون مع بعضهم البعض عن طريق مجموع الكلمات والمفردات لتلك اللغة التي يفهمها أفراد المجتمع. فهي سلوك اجتماعي يمارسه يوميا كل فرد من المجتمع وذلك حتى يتمكن من قضاء حوائجه والتعبير عن أفكاره، كما يقول ابن جني: "اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (جني، 1952، صفحة 33). فاللغة نتاج وظاهرة اجتماعية بامتياز وهذا ما أثبتته علماء الاجتماع، حيث

يقول دور كايم في هذا: "اللغة توجد مستقلة عن كل فرد من الأفراد الذين يتكلمونها، وعلى الرغم من أنها لا تقوم بمعزل عن مجموع هؤلاء الأفراد. فإنها مع ذلك خارجة عنه (أي الفرد) من خلال عموميتها." (عبد العزيز، 1998، صفحة 299)

وبهذا فإن اللغة نظام جماعي ومظهر من مظاهر وجود المجتمعات والتي بواسطتها تحافظ على كيانها وعنصر ضروري لتماسك وترابط وحدات المجتمع. ويمكننا أن نبرز علاقة اللغة بالمجتمع من خلال النقاط التالية والتي من أهمها:

1.1. أن اللغة تعتبر تاريخاً مشتركاً لكل مجتمع وذاكرة جماعية تحمل سماته في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (الدينية)، ولذلك تعدّ اللغة " في نظر كثيرين أحد المكونات البارزة للسلوك الاجتماعي. فنحن لا نستطيع أن نتخيل مجتمعاً إلا وفي خيالنا فكرة ما عن اللغة التي يتواصل بها أفرادها ويتعاونون. وإلا كيف نسي هذه المجموعة من الناس مجتمعاً إذا كانوا لا يتكلمون بلسان واحد هو اللسان المشترك". (إبراهيم، 2014، صفحة 61)

2.1. إن النظام اللغوي لكل مجتمع يتماشى مع التغييرات الحاصلة فيه ويتأقلم مع طبيعة النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني للمجتمع وهنا نقصد المجتمع بمفهومه الواسع أي دولة أو أمة، فما من شك أن اللغة تتغير بتغير هذه الأنظمة. والأمثلة على ذلك كثيرة فاللغة المستعملة لدى المجتمعات الأوروبية في عصر الإقطاع ليست هي نفسها اللغة المستعملة بعد الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا بحكم تغير النظام الاقتصادي بفعل ما ولّدته تلك الثورة من مفاهيم ومصطلحات جديدة. كما أن اللغة المستعملة في المجتمع العربي قبل مجيء الإسلام ليست هي اللغة المستعملة بعد الإسلام بحكم المرجعية الدينية، فكثيرة هي الكلمات والمفردات التي ظهرت بظهور هذا الدين... الخ. والتغير الذي يمس اللغة هنا يكون جزئياً لا كلياً لأنه لو كان كذلك لكانت هناك قطيعة لغوية تاريخية بين الأجيال.

3.1. إن اللغة لا تعدّ وسيلة اتصال وتواصل فحسب، بل هي وسيلة لاكتساب السلوك الاجتماعي المقبول، ذلك أن الفرد لما يكتسب لغته لا يكتسب طريقة النطق والاستعمال النحوي الصحيح للكلمات فقط. لكنه يكتسب أيضاً العادات والتقاليد التي يجب مراعاتها أثناء الكلام – أي

أنّ هناك من اللغة ما هو مقبول استعماله في المجتمع وهناك ما هو مرفوض- " فنجاح الفرد في استخدام لغته لا يتوقف على الاكتساب وحده، ولا على كفايته الفسيولوجية والنحوية وثروته الكبيرة أو المحدودة من الألفاظ، ولكن ذلك يتوقف أيضا على مراعاة آداب الحديث، وإتباع الأسلوب المناسب للموقف، والمخاطب والموضوع." (شحدة وآخرون، 2003، الصفحات 291-293)

2. اللغة والبيئة الاجتماعية:

إنّ تأثر اللغة بالجانب الاجتماعي كان مجال بحث علم اللغة الاجتماعي (socio-linguistics). وعلم اللغة الاجتماعي هو العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها مع المجتمع. (بشر، 1997، صفحة 41) ويبحث في الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع وتأثير كل واحد منهما في الآخر، والتغيرات التي تطرأ على اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية. وهنا ينبغي التفريق بين مصطلحين هما علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي، فالأول يركز على الجانب اللغوي، أمّا الثاني فإنه يركز على الجانب الاجتماعي. كما نجد أيضا علم اللغة الأنثروبولوجي أو الأنثروبولوجيا اللغوية قد اهتمت بعلاقة اللغة بالمجتمع حيث عنت بدراسة التنوعات اللغوية وعلاقاتها بالأنماط الثقافية ومعتقدات الإنسان بوجه عام، وكيف يمكن لهذه الظواهر اللغوية أن تكشف عن هوية الفرد وثقافته.

إنّ المنطلق الذي انطلق منه علم اللغة الاجتماعي والمشكلات التي يعرض لها، كان برفض ما نادت به البنيوية السوسيرية والتي أهملت الجانب الاجتماعي في اللغة، حيث أثبت أصحاب هذا العلم بأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية ومعنى ذلك أنّها تؤثر في المجتمع وتتأثر به، ويسري عليها ما يسري على الظواهر الاجتماعية الأخرى. (إبراهيم، 2014، صفحة 59) ودراسة اللغة لا يمكن أن تتم بدون الإشارة إلى المجتمع وأخذه في الحسبان، فلا يمكن دراسة لغة معينة في فراغ ودون نسبها إلى فئة اجتماعية. ومن أهم المشكلات التي يتناولها علم اللغة الاجتماعي:

1.2. التنوع اللغوي: تعد مسألة التنوع اللغوي داخل المجتمعات من بين أهم المسائل التي عالجه علم اللغة الاجتماعي، والحديث عن هذه المسألة يقودنا إلى الحديث عن أنماط لغوية عامة وأخرى خاصة.

1.1.2. أنماط عامة: إنّ ثبات اللغة وعدم تغييرها وحفاظها على وحدتها أمر مستحيل، فاللغة خاضعة للتغيير والانتقال من حال إلى حال كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى.

ولنوضح هذا التنوع اللغوي نأخذ مثالا عن اللغة العربية وما طرأ عليها من تفرعات وتشعبات، ففيها نجد اللغة الفصحى والتي تمثل أرقى صور اللغة وتظهر هذه الصورة في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر الجاهلي وما بعده من كتابات أدبية، كما نجد مستوى اللغة الرسمية المستخدمة في الهيئات العليا والمؤسسات التعليمية ولغة الكتابة عند الأدباء والإعلاميين. وإلى جانب هذين المستويين نجد مستوى آخر وهو اللهجات (الدارجة) واللهجات تختلف فيما بينها سواء على مستوى الوطن العربي (لهجة جزائرية، تونسية، مصرية، سورية، خليجية...)، أو على المستوى المحلي في البلد الواحد. وكل هذه المستويات من اللغة تتعايش مع بعضها البعض وهو ما خلق نوعا من الازدواجية اللغوية (diglossie) داخل المجتمع الواحد "وهو ما يعني وجود لغة للكلام اليومي أو اللهجة المحلية (local dialecte)، ولغة أخرى هي لغة الكتابة والمخاطبات الرسمية المدونة والمحاضرات والأحاديث والخطب الدينية، أي أنّ المتكلم نفسه يتكلم في حياته اليومية بلغة، ولكنه عندما يقوم بكتابة شيء مما يقوله يلجأ إلى لغة أخرى." (إبراهيم، 2014، صفحة 71) وهناك مصطلح آخر يشبه مصطلح ازدواجية اللغة وهو الثنائية اللغوية (Bilingualism) ويعني وجود لغتين متنافستين في الاستعمال تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية والاستعمال الرسمي. (إبراهيم، 2014، صفحة 75) مثلما هو الحال في الجزائر حيث نجد كلا من اللغة العربية واللغة الفرنسية مستعملتان لدى طائفة كبيرة من المجتمع الجزائري.

ويمكن أن نميز بين هذه التنوعات اللغوية من خلال الاعتماد على ثلاثة معايير أساسية، كما يرى ذلك علماء علم اللغة الاجتماعي، وقد ذكر هذا الدكتور كمال بشر في كتابه (علم اللغة الاجتماعي):

1.1.1.2. المعيار الأول: ويتمثل في المعيار البنوي والذي من خلاله يتم الكشف عن بنية هذه التنوعات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية وغيرها من الخواص اللغوية للوصول إلى الحدود الفارقة بين هذه التنوعات.

2.1.1.2. المعيار الثاني: ويتمثل في المعيار الجغرافي والذي يعدّ أساسيا عند علماء اللهجات، وبه يحاول الدارس أن يصنّف هذه التنوعات من منطلق جغرافي ويحدد مناطق توزّعها.

3.1.1.2. المعيار الثالث: ويتمثل في المعيار الاجتماعي والذي يعتمد فيه على دراسة الوظائف الاجتماعية المختلفة للغة (لغة الفن، لغة الرجال، لغة النساء...) (بشر، 1997، الصفحات 178-179).

وبالاعتماد على هذه المعايير الثلاثة ومعايير أخرى يمكننا تصنيف التنوعات اللغوية إلى:

4.1.1.2. اللغة المعيّنة: وهي اللغة الخاصة بكل مجتمع، فاللغة العربية هي لغة المجتمع العربي واللغة الرسمية لكل بلدانه، والمستعملة في مختلف مراحل التعليم والأعمال الأدبية والفنية بالرغم من تنوع الفئات والبيئات والأعراف والمعتقدات وذلك بالرغم من الاختلافات الجليّة بين أفراد المجتمعات العربية من بلد إلى بلد خاصة فيما تعلق بالأداء النطقي.

5.1.1.2 اللغة النموذجية: وهي تلك اللغة المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، ويطلق عليها أيضا تسمية اللغة القومية لأنها تجمع القوم على لسان واحد، إلا أنّ التكلم بهذه اللغة لا يكون على درجة من التطابق التام، وقد ذكر كل من الجاحظ وابن حزم الأندلسي هذا الاختلاف في الأداء لدى المتكلمين بالعربية الفصحى. فاللغة النموذجية تبقى مثالا تجريديا محضا (إبراهيم، 2014، صفحة 63).

6.1.1.2. اللغة المحكية (الدارجة العامية): وهي اللغة المستعملة في الحديث العام للناس في يومياتهم وسميت بالدارجة لأنّ الناس درجوا على استعمالها فيما بينهم واعتادوا على توظيفها، والعامية لأنها اللغة الغالبة على كلام عامة الناس

2.1.2. أنماط خاصة:

1.2.1.2. التنوعات المحلية: ويقصد بها اللهجات المحلية والتي تنسب إلى منطقة جغرافية معينة " فاللهجات التي تستطيع خواصها أن تحدد البيئة أو المنطقة الجغرافية لأهلها هي اللهجات المحلية." (بشر، 1997، صفحة 199) وتتميز هذه اللهجات المحلية إمّا بضيق المساحة أو

اتساعها وبهذا يقلّ عدد المتكلمين بهذه اللهجة أو يكثر. ولدينا مثال على هذا التنوع المحلي الواضح في الجزائر من منطقة إلى أخرى.

2.2.1.2. التنوعات الاجتماعية: إذا كانت اللغة هي أداة التواصل بين الناس والتي من خلالها

يمكن تحقيق ترابط وتفاعل اجتماعي داخل المجتمع الواحد، فإنّه مما لا ريب فيه أنّ اللغة تعكس المكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع، ومعنى هذا أنّ لغة المستعملة داخل أي مجتمع مستويات، فمما أكدته الأبحاث في مجال اللغويات الاجتماعية أنّ استعمال اللغة في المجتمع لا يجري بطريقة واحدة بل له مستويات وذلك قياسا بمكانة مستعمل اللغة، وهو ما يعني أنّ اللغة المشتركة في المجتمع الواحد تتشعب وتتفرع إلى (لغيات) فتكون هناك لغة يستعملها أفراد الطبقة الراقية الارستقراطية، ولغة أخرى للطبقة الوسطى، وأخرى للطبقة الدنيا، كما أنّ اللغة تختلف بين فئات المجتمع باختلاف طبيعة المهنة التي يمارسها الفرد داخل المجتمع، ويتبين ذلك من خلال الفروق الموجودة بين مجموع الكلمات والألفاظ التي يستعملها الصحفيون مثلا والكلمات التي يستعملها الرياضيون، أو الأطباء وهلم جرا. فتكون هذه المفردات بمثابة الأيقونة التي تعرّفنا على طبيعة الشخص ومكانته الاجتماعية " فاللغة تتأثر بمنزلة المتكلمين الاجتماعية، وموقعهم الطبقي في المجتمع. فالتفاوت الخاضع لمعايير اقتصادية أحيانا ومعايير النسب والعشيرة والقبيلة والفئة يؤثر في اللغة المشتركة فتسودها سمات من التفاوت....، مثلما يؤدي ازدياد التفاوت الطبقي إلى تباعد اللهجات بعضها عن بعض." (وافي، 1971، صفحة 186) وهكذا تصبح لكل فئة لغة خاصة تميزها عن فئات المجتمع الأخرى، ويكون شيوعها في دوائر معينة ومغلقة. ولذلك فإنّ الحركة الاجتماعية في تحولاتها وصراعاتها وتناقضاتها تنعكس كلها على لغة المجتمع لذلك يسير انتظام المجتمع في طبقات اجتماعية توزيع لغوي (بوقرية، صفحة 13). وهو ما ينتج عنه تنوعات كلامية على مستوى اللغة أو اللهجة. وقد ساعدت هذه التنوعات علماء اللغة الاجتماعيين في التوصل إلى بعض النتائج المهمة منها:

- التعرف على البناء الاجتماعي وعناصره المكونة له وما بين هذه العناصر من توافق أو نفور .

- الكشف عن طبيعة الوضع الثقافي في المجتمع المعين، فالتنوع اللغوي يحكم على أنّ هناك

تنوعا ثقافيا.

- إنّ هذه التنوعات اللغوية تشكل تهديدا لوحدة اللسان القومي، وبالتالي التفكير في الحلول.

كما أنّ للمكان والزمان أثر على اللغة، فلغة سكان الصحراء تختلف عن لغات سكان المناطق الأخرى، فلغة الصحراويين فيها خشونة وغلظة، فالصحراوي تجده يتميز بصوت مرتفع وغلظ، وعلى العكس من ذلك نجد ساكن المدينة يمتاز بالهدوء. أما بالنسبة للزمان فإنّ أثره يظهر من خلال تأثير اللغة عند الفرد بعامل السن، كما تتأثر عملية انتقال اللغة من جيل إلى جيل على مستوى المفردات والتراكيب وطريقة النطق (الجانب الصوتي).

3. اللغة والثقافة:

تصنّف البشرية إلى أمم بالنظر إلى خمسة معايير أساسية هي : الجنس المشترك (الأصل)، الدين، القومية، اللغة، الثقافة، وهي مجموع تلك المعتقدات والعادات والتقاليد التي يكتسبها الفرد داخل مجتمعه. وللغة والثقافة دور بارز في تحديد وتصنيف انتماء كل مجتمع، فهما بمثابة مرآة عاكسة لصورة المجتمع. إنّ علاقة اللغة بالثقافة هي علاقة الجزء بالكل، فاللغة أخص والثقافة أعم، والعلاقة القائمة بينهما هي علاقة تأثير وتأثير، ومن مظاهر هذا التأثير والتأثر:

- إنّ اللغة نتاج ثقافي ، فاللغة ليست مجرد أصوات فقط بل هي تجسيد لكل معارف الإنسان وخبرته ودليل شخصيته وثقافته، فهي تكشف العواطف والأفكار التي تختلج في كيان الإنسان، وبالتالي تكشف هويته.

- وحدة اللغة وتكاملها يتبع وحدة الثقافة وتكاملها، وكذلك تنعكس وحدة الثقافة على النشاط اللغوي لمجتمع معين، وهذا الارتباط بين اللغة والثقافة ينعكس بدوره على درجة الاختلاف الثقافي بين المجتمعات، فكلما كان الاختلاف كبيرا بين اللغات كان الاختلاف الثقافي واضحا، والعكس صحيح.

إنّ علاقة اللغة بالثقافة لا تتوقف عند هذا الحدّ، بل تتعداه إلى الربط بين المجتمعات بعضها ببعض. فالمجتمع يتصل بواسطة اللغة بمجتمع أو أكثر، وبالتالي تكون اللغة أداة لمزيد من التبادل الثقافي بين المجتمعات، وتمكّن أفراد المجتمع من الإطلاع أكثر على ثقافة المجتمعات الأخرى، فاللغات تفيد من بعضها البعض وهو ما حدث بالنسبة للغة العربية حين استفادت من اللغة الفارسية. وذلك بظهور عدّة ألفاظ ذات أصل فارسي عربت وأصبحت نتيجة الاستعمال الكثير عربية لفظا ومعنا مثل:

ديوان، مهرجان، إبريق، الخوان، الخز، الديباج، السندس، الكافور، القرنفل، الزنجبيل... الخ، كما أنّ اللغة الفارسية أفادت هي الأخرى من العربية، فكثيرة هي الكلمات العربية التي دخلت الفارسية. كما ينطبق هذا أيضا على التبادل اللغوي الذي حصل بين العربية والاسبانية خاصة في الفترة التي حكم فيها العرب المسلمون بلاد الأندلس أين كان هناك احتكاك بين العرب والاسبان فتأثر كلا الطرفين ببعضهما البعض فآلاف الكلمات العربية تمّ تحريفها لتتناسب مع الاسبانية، فكلّمة (سكر) بالاسبانية (ثكر)، وكلّمة (صابون) بالاسبانية (خابون).

وإذا ما أردنا أن نبرز هذا الأمر أكثر، فإننا نستطيع أن نبينه من خلال تأثير بلدان المغرب العربي (الجزائر وتونس والمغرب) بلغة المستعمر الفرنسي فنجد كثير من الألفاظ ذات الأصل الفرنسي مستعملة في لهجات مجتمعات هذه البلدان، مثل تسمية صنبور الماء (رويينة)، والمطبخ كابينّة، والمحل التجاري (ميزون) وهي كلمات مستعملة أيضا في الفرنسية. (إبراهيم، 2014، صفحة 69)

ولهذا التبادل والتفاعل اللغوي إيجابيات، ومن أهمها:

- تسهيل عملية التواصل بين الأفراد على اختلاف مجتمعاتهم ومشاربهم.

- تمكين أفراد المجتمع من معرفة خصائص اللغات الأخرى والإطلاع على الثقافات الأخرى المجاورة.

4. اللغة والدين:

يعتبر الدين من أكثر العوامل تأثرا وتأثيرا في اللغة، فالدين هو الجامع لأعراف وقيم وتقاليد المجتمعات ومصدر تشريعها، وعلاقة اللغة بالدين هو أنّ الدين بمثابة تربة خصبة تنمو فيها اللغة وتتطور، وبواسطته تنتشر وتستمر، بينما فضل اللغة على الدين أنّه ينتشر بفضلها وبواسطتها يتم تفسير وتوضيح مبادئه وقيمه لأفراد المجتمع. ولعلّ أبلغ الصور على التلازم بين الدين واللغة تتمثل في صورتين الأولى التواكب وذلك أنّ الديانات السماوية نزلت على جماعات، وكلّف شخص بنقل رسالتها، فإنّه كان محتاجا إلى وسيلة اتصال بينه وبين المجتمع ليبشره بهذا الدين، فكانت اللغة خير وسيلة لهذا

الغرض، وذلك مصدقا لقوله تعالى: ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم)) (سورة إبراهيم، الآية: 04)

والدين الإسلامي أكبر دليل على التفاعل بين اللغة والدين، فالإسلام بدون العربية يشوبه الإبهام والغموض، والعربية بدون الإسلام تضيق حدودها، فالعربية تفسر وتشرح مبادئ الإسلام وآيات القرآن، والإسلام منح العربية زادا لغويا من الألفاظ والتراكيب الجديدة التي لم تكن اللغة العربية تزخر بها.

أما الصورة الثانية فتتمثل في التمازج والتمازج ويظهر ذلك من خلال نظر اللغة إلى الدين واستخراج معانيه وأفكاره وتبسيطها حتى يصل إلى أذهان الناس ويستقر في القلوب، وما يقوم به الدعاة والمفسرون للقرآن الكريم بالعودة إلى اللغة العربية من خلال الشعر والخطب وغيرها وذلك من أجل توضيح معانيه وإيصال أفكاره.

5. اللغة والهوية (القومية):

يعتبر علماء اللغة الاجتماعيون أنّ وحدة اللغة والتاريخ من أهم المقومات في توحيد الأمم وبناء قومياتها وتشكل هويتها، ولعل أكبر برهان على ذلك ما قامت به الدول المستعمرة حين عمدت إلى محاربة اللغات القومية وتحريف التاريخ القومي للأمة المستعمرة، وهذا من أجل إحداث قطيعة بين أفراد الأمة وهويتهم الأصلية.

فاللغة هي الدعامة الكبرى في بناء المجتمع وتكوينه، وهي الرابط بين الأفراد والأداة التي تحفظ للمجتمع شخصيته وقوته وتماسكه، " فالعلاقات الاجتماعية التي تصهر الناس في كيان متجانس يسمى مجتمعا لا يمكن أن يتحقق دون لغة إلا بصعوبة كبيرة، أما بوجود اللغة فإن التضامن الاجتماعي يصبح حقيقة قائمة من خلال الأداة التي بها يتكلمون ويتواصلون. " (إبراهيم، 2014، صفحة 75) ولعل هذا الشعور يظهر أكثر وتحس به حين تكون في بلد أجنبي يتكلم فيه الناس لغة غير لغتك، وتلتقي بشخص لا تعرفه ولكنه يتكلم بنفس اللغة التي تتكلمها أنت، فهنا تكتشف بأنكما تنتميان إلى هوية واحدة. فالمعيار أو المؤشر الذي عرفنا به الهوية في هذا المثال هو اللغة باعتبارها صورة من صور التعامل الاجتماعي. " فاللغة تمثل تقاليد متعددة، تضم في أحيان كثيرة ما له علاقة بالدين،

والقوانين والأعراف، والسلوك الاجتماعي، الذي يكتسب عن طريقها ممارسة وتعلّيمًا. وهي الشيء الأكثر قوة في إنتاج هذه التقاليد والحفاظ عليها في الذاكرة." (جون، 2007، صفحة 85)

خاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكننا التوصل إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- 1- إنّ دراسة اللغة دون الإشارة إلى المجتمع يجعل من هذه الدراسة دراسة قاصرة، وتضفي إلى نتائج غير دقيقة.
- 2- الدراسة الاجتماعية للغة تمكننا من التعرف على مختلف الظواهر المتعلقة بها من تنوعات لغوية
- 3- علاقة اللغة بالبيئة الاجتماعية والثقافة والدين والهوية القومية هي علاقة تأثير وتأثير بحيث تبين أن ما يربط هذه الجوانب باللغة يشكل سلسلة متماسكة يكمل فيها كل عنصر بقية العناصر.
- 4- إنّ للغة أثر فعال في حياة الفرد فهي تعد وسيلة الاتصال بغيره ، وبواسطتها يدرك أغراضه ويحصل على رغباته ، كما أنها وسيلة يعبر بها عن آماله وآلامه وعواطفه وأفكاره .
- 5- اللغة بالنسبة للمجتمع أداة تفاهم وتعاون بين الأفراد وعامل من عوامل الوحدة والتماسك والوعاء الذي يحفظ تراث المجتمع الثقافي والحضاري عبر الأزمان و من جيل إلى جيل .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.
- ابن جني. (1952). الخصائص. (تحقيق، محمد علي نجار). دار الكتب المصرية. القاهرة. مصر.
- الفارح، شحدة و وآخرون. (2003). مقدمات في اللغويات المعاصرة. (الطبعة 2). وائل للنشر. عمان. الأردن.
- جوزيف، جون. (2007). اللغة والهوية. (الطبعة 1). (ترجمة: عبد النور خراقي). عالم المعرفة. الكويت.
- خليل، إبراهيم. (2014). مدخل إلى علم اللغة. (الطبعة 2). دار الميسرة. عمان. الأردن.
- وافي، علي عبد الواحد. (1971). اللغة والمجتمع. دار نهضة مصر. القاهرة. مصر.

- كمال، بشر. (1997). علم اللغة الاجتماعي. (الطبعة 3). دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. مصر.
- بوقربة، لطفي. محاضرات في اللسانيات الاجتماعية. جامعة بشار. بشار.
- عبد العزيز، محمد حسن. (1998). مدخل إلى علم اللغة. (الطبعة 1). مكتبة الشباب. القاهرة. مصر.

اللسان الحسناني ومظاهر التواصل الثقافي

مقاربة أنثروبولوجية بالجنوب الغربي الجزائري

The Hassani dialect and aspects of cultural communication

Anthropological approach in the southwestern Algerian

أ.د. مباركة بلحسن *

قسم علم الاجتماع – جامعة وهران 2 محمد بن أحمد (وهران . الجزائر)

Prof. Dr. Mebarka Bellahcen

Department of social sciences - University of Oran 2 Mohamed Ben Ahmed (Oran-Algeria)

bellahcen_mebarka@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2020/12/15

تاريخ القبول: 2020/11/27

تاريخ استلام المقال: 2020/11/06

ملخص

تعتبر الجزائر قارة لما تحتويه من تنوع سوسيوثقافي لسكانها من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها، ويعتبر الجنوب الجزائري البوابة الرئيسية للعلاقات والتبادلات مع البلدان الإفريقية. ومن بين المجموعات التي برزت في أقصى الجنوب الجزائري، وسميت نسبة إلى اللهجة المستعملة بين أفرادها، نجد المجتمع "الحسناني"، ونقصد به تلك المجموعات البشرية الناطقة باللهجة الحسنانية. وهي مزيج بين اللغة المعقلية والأمازيغية. سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نركز على "اللسان الحسناني" في الجنوب الغربي الجزائري، ونبحث في أصول هذه القبائل والعشائر، بالإضافة إلى محاولة فهم مدى تأثير عدة عوامل (الهجرات، المدارس القرآنية، التجارة والحروب) على انتشار اللهجة الحسنانية في نطاق لا بأس به من الصحراء الإفريقية الكبرى عموما، والجنوب الغربي الجزائري على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية: لهجة: حسنانية؛ أنثروبولوجيا؛ تواصل؛ الجنوب الجزائري.

Abstract

Algeria is considered a continent because of the sociocultural diversity it contains for its population from north to south and from west to east, southern Algeria is the main

البريد الإلكتروني: bellahcen_mebarka@yahoo.fr

* المؤلف المرسل: مباركة بلحسن

gateway for relations and exchanges with African countries. Among the groups that have emerged in the far south of Algeria, and it is named relative to the dialect used among its members, and it is named relative to the dialect used among its members, we find the Hassani community, by which we mean those human groups that speak the Hasani dialect. It is a mixture between the Maqil and Berber language. Through this study, we will try to focus on the "Hassani dialect " in the Algerian southwestern, and examine the origins of these tribes and clans.

Keywords: Dialect ; Hassani; Anthropology; Communication ; Southern Algeria.

مقدمة

تميزت القارة الإفريقية بشساعة صحرائها، خاصة تلك الموجودة في الشمال، بحيث تستحوذ على أكثر من تسعة ملايين كيلومتر مربع، هاته الصحراء الكبرى والمتنوعة بالشعوب، التي استقرت بها وأثرت على ملامحها وتأثرت بها، تتميز بخصوصية جغرافية، ثقافية واجتماعية، كما تعاقبت عليها عدة حضارات وثقافات وألسنة.

تعتبر الصحراء الإفريقية مجالا واسعا للبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية لتنوع التركيبة البشرية التي تعيش عليها وتميزها بألسنة ولغات لا تعد ولا تحصى، وما يزيدها ثراء ذلك التنوع الثقافي المذهل (نمط العيش، الملبس، العمران، النظام الاجتماعي والسياسي).

الجزائر لوحدها شبه قارة لما تحتويه من تنوع سوسيو-ثقافي لسكانها، من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها. فالصحراء الجزائرية واسعة وشاسعة بمساحتها وجغرافيتها والمجموعات البشرية التي تعيش فيها، لذلك يعتبر الجنوب الجزائري البوابة الرئيسية للعلاقات والتبادلات مع البلدان الإفريقية.

ومن بين المجموعات التي برزت في أقصى الجنوب الجزائري، وسميت نسبة إلى اللهجة المستعملة بين أفرادها، نجد المجتمع "الحساني"، ونقصد به تلك المجموعات البشرية الناطقة باللهجة الحسانية. وبالأخص مجتمع "البيضان".

في أصل تسمية "البيضان"، يقول الباحث محمّدو محمّدن أمين أنه "يعود إطلاق تسمية البيضان أو البياضين على سكان هذا الجزء من الصحراء الإفريقية الكبرى - حسب علمنا إلى الرحالين والجغرافيين العرب في القرون الوسطى وذلك لتمييز هؤلاء السكان ذوي البشرة السمراء (الضاربة أحيانا إلى البياض)، عن بقية سكان المنطقة الزنوج ذوي البشرة السوداء...هي تسمية تدل

عموما عند استخدامها من الفرنسيين على الحيز الجغرافي الممتد من نهر السنغال جنوبا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جنوب الجزائر والمغرب شمالا إلى نهر النيجر شرقا" (محمّد أمين، 2016، ص 35).

لكن الباحث إبراهيم الحيسن يعتبر أن مجتمع البيضان "هو الذي يربطه كثيرون ببيض البشرة الناطقين بالعربية (اللهجة الحسانية)، والفرنسيون هم من أطلقوا تعبير 'دول المور' Etats maures المحاذية للنهر في حديثهم عن الوجه البحري للبلاد الموريتانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تعني المور أيضا السواد عند الإسبان، لا سيما في حديثهم عن الفن الموريسكي في إشارة إلى العرب السمر الذين كانوا يتواجدون ببلاد الأندلس. كما استعمل ابن بطوطة المصطلح نفسه (البيضان) في مدوناته الرحلية والجاحظ عندما ألف رسالة بعنوان: 'فضل السودان على البيضان'" (الحيسن، 2011، ص 9).

فاللهجة الحسانية هي من أهم المقومات التي يتشبث بها هذا المجتمع لإثبات هويته وصهرها، والأهم في ذلك أنّ أفراد هذا المجتمع واعون بأهمية ودور اللغة في صهر الهوية والحفاظ على ملامحها الحسانية، حتى أنّ البعض منهم ذهب إلى الدفاع عن عروبة هذه المجموعة عبر الدفاع عن أصول اللغة الحسانية إلى اللغة العربية.

لكن اللهجة الحسانية هي مزيج بين اللغة المعقلية والأمازيغية، هذا الإمتزاج الذي يضم العديد من المفردات الأمازيغية، خاصة إذا رجعنا إلى الطوبونوميا وأسماء القبائل والتي تعتبر من بين أهم مظاهر التواصل الثقافي الحساني الأمازيغي، بالرغم من رفض القبائل الحسانية لوجود هذا الإمتزاج.

لذلك نحاول من خلال هذه الورقة أن نركز على "اللسان الحساني" في الجنوب الغربي الجزائري، والبحث في أصول هذه القبائل والعشائر، بالإضافة إلى محاولة فهم مدى تأثير عدة عوامل (الهجرات، المدارس القرآنية، التجارة والحروب) على انتشار اللهجة الحسانية في نطاق لا بأس به من الصحراء الإفريقية الكبرى والجنوب الغربي الجزائري بالخصوص.

1. ماهية اللسان الحساني :

ترتبط اللغة بالثقافة والهوية الجماعية للجماعات البشرية، لذلك يعتبر علماء الأنثروبولوجيا اللغة المفتاح الرئيسي لفهم التركيبات السوسيو-ثقافية لمختلف المجتمعات، إن الأنثروبولوجي يحتاج إلى علم اللسانيات لفهم عناصر اللغة وتنوعها، ولعل الأنثروبولوجي كلود ليفي ستراوس أكبر دليل على هذا التقاطع بين العلمين خاصة من حيث المناهج، لأنه حاول أن يطبق مبادئ نظام اللغة والعناصر التي تتشكل منها الكلمات بمبادئ نظام القراءة.

يحاول علم الاجتماع اللغوي فهم وتفسير الطبيعة الاجتماعية للغة وذلك من خلال معرفة أصولها وسلطانها داخل المجتمعات البشرية عبر العصور. يعتبر فيركلو نورمان، عن الزواوي بغورة، أن "اللغة جزء من المجتمع... ويعني ثانيا أن اللغة صيرورة اجتماعية. وثالثا أن اللغة صيرورة مشروطة اجتماعيا، أي مشروطة بالجوانب غير اللغوية من المجتمع" (بغورة، 2002، ص 53-57)، بمعنى أن اللغة شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية.

هل هناك علاقة بين انتشار لغة معينة وهيمنتها في فضاء معين، وبين السلطة السياسية والدينية ؟

كيف يمكن أن نفهم السيرة التاريخية لانتشار لهجة أو لغة معينة في مجتمعات لم توثق لتاريخها كما ينبغي بل اعتمدت على الشفوية ؟ وما هي الإمكانيات المنهجية والعلمية والإبستمولوجية التي تمكننا من مقاربتها بشكل سليم وواضح ؟ ما هي العلاقة بين انتشار لهجة معينة وهيمنتها في فضاء واسع وشاسع وبين أصول المجموعات البشرية الناطقة بها ؟ ما هي الإستراتيجيات التي اعتمدت عليها تلك المجتمعات لفرض لهجتهم من بين العديد من اللهجات التي كانت منتشرة آنذاك ؟

انتشر اللسان الحساني خلال القرن الحادي عشر ميلادي، حسب هذه الرواية، بالتقريب إثر مجيء قبائل بني حسان المعقلية من بلاد المشرق إلى المجابة الكبرى من بلاد الغرب الإسلامي، أين شكل إنتشار هذا اللسان، من وادي نون شمالا إلى حدود نهر السينغال جنوبا ومن المحيط الأطلسي غربا حتى صحراء الجوف وأزواد وتندوف شرقا، حدثا لغويا مهما خاصة بالنسبة لإعادة صياغة الوضعية اللغوية وخرائطها بالمجال. (هباد وتمكيت، 2013، ص 7-8)

أظهرت دراسات مهمة أن اللغة الحسانية هي مزيج من 80 بالمئة من اللغة العربية و 20 بالمئة من اللغة الأمازيغية خاصة إذا ما تحدثنا عن الطوبونوميا وأسماء الأدوات المستعملة في البيت الحساني وحتى أسماء أغلبية القبائل الحسانية.

أما الأستاذ محمد أرجدال (بويكران) فإنه يكتب : "اللغة الحسانية : عرفها أحمد بن ملين الشنقيطي في كتابه : الوسيط في أدباء شنقيط (بأنها كلام حسان وكلام العرب وهي لغة بعضها عربي ظاهر إلا أن تسكين المتحرك كثير فيه وبعضها لا يعرف لها اشتقاق وليس مأخوذا من اللغات البربرية لأنه لا يوجد فيها) ، نعم الحسانية مزيج من اللغة العربية المعقلية ومن الأمازيغية التي يحاول الشنقيطي نفثها لأن العديد من الباحثين في اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا أكدوا هذا الامتزاج الذي يضم العديد من المفردات الأمازيغية وكذا الظواهر الفونولوجية والتركيبية." (أرجدال، <http://tawiza.net>)

يواجه الباحث عند محاولة مقارنته للسان الحساني عدة صعوبات بسبب عدم إهتمام المختصون في العلوم الإجتماعية والإنسانية به، خاصة بالجزائر، وهذا ما يفسر الشح في المصادر والمراجع والكتابات التي تؤرخ لهذا اللسان، فيجد الباحث نفسه يتخبط بين بحوث مشتتة ومتفرقة بين البلدان الإفريقية والمغاربية والعربية التي تتواجد بها المجموعات الناطقة باللهجة الحسانية. لذلك حاولنا أن نركز على الدراسات التي أجريت على المجموعات الناطقة باللهجة الحسانية في موريتانيا والمغرب والصحراء الغربية لأنها تؤسس لتاريخ موحد للسان الحساني المناطق الصحراوية التي كانوا يعيشون فيها أو قريبة منهم، ولأن تلك المجموعات كانت تربطها علاقات القرابة، المصاهرة، التجارة ونشر تعاليم الإسلام .

تعتبر دراسات كل من بيار بونت Pierre Bonte وعبد الودود ولد الشيخ Abdel Wedoud Ould Cheikh وبعض الباحثين الغربيين من بين أهم البحوث التي إهتمت بالمجتمعات الناطقة باللهجة الحسانية أو ما يعرف بمجتمع البيضان.

ونشير كذلك إلى مساهمة كل من الباحثين حمادي هباد وسويدي تمكليت والمتمثلة في تنسيق كتاب جماعي يضم عدة مداخلات من الندوة العلمية الأولى حول الحسانية والتي نظمها مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع" بشراكة وكالة الجنوب وجمعية الباحثين الشباب للدراسات والأبحاث الصحراوية بمدينة آسا بجنوب المغرب الأقصى يومي 23 و 24 ديسمبر 2011، تحت شعار "الحسانية : بين الواقع الشفهي والبحث العلمي".

تكمن أهمية هذا الكتاب الجماعي في محاولة فتح نقاش علمي جاد حول أهم الأطروحات التي تساهم في فهم واقع هذا اللسان وحقيقة انتشاره جغرافيا بمجال الصحراء وأهم أسبابه الاجتماعية، الثقافية، السياسية والاقتصادية.

لقد أثار الباحث سويدي تمكليت جدلية مهمة تستحق التمعن والاهتمام وهي "جدلية المناسب والمنسوب بين اللسان والمجموعة الناطقة بها"، لأن هذه العلاقة أرققت العديد من الباحثين ومن بينهم صاحب هذا المقال، فهل اللهجة الحسانية منسوبة إلى بني حسان؟ أم أن بني حسان هم المنسوبين إليها ؟ (هباد وتمكليت، 2013، ص 28- 29)

رأينا من رأي الباحث تمكليت حين شكك في نسب اللسان الحساني إلى العرق أو الإثنية، لأن الناظر في العشيرة اللغوية المتكلمة بهذا اللسان، حسب رأيه، "يدرك بشكل واضح وجلي أنهم من حيث الأصول العرقية لا يرجعون إلى أصل واحد (النسب إلى حسان وأولاده) بل هم عبارة عن أخلاط بشرية متعددة ومتباينة الإثنيات، وهذا الأمر تؤكد جملة من الأبحاث والدراسات نضرب مثالا منها لابن خلدون الذي أورد أن انتشار (بني حسان) (المعاقل) بالمنطقة وبسط نفوذهم على المجال هم قلة، وإنما كثروا بمن اجتمع إليهم من القبائل من غير نسبهم" (هباد وتمكليت، 2013، ص 24).

نفس الباحث يقف على اتجاهين أساسيين بالنسبة لتأصيل نسبة الحسانية لدى الباحثين : "الإتجاه الأول : نسبها إلى قبائل بني حسان التي تعود دمويًا إلى جعفر بن أبي طالب، وهم 'بنو حسان بن المختار بن محمد بن عقيل بن معقل بن موسى بن الهذاج بن جعفر الأمير بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الجواد بن علي الزيني بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب' وهو رأي متواتر بكثرة (الأنصاري، ص 4) و (هباد و تمكليت، 2013، ص 33). الإتجاه الثاني : نسبها إلى القائد والفتاح العربي الشهير 'حسان بن النعمان' وهو رأي قليل وغير مشهور" (هباد و تمكليت، 2013، ص 26 - 27).

والإتجاه الثاني هو ما نجد به كثرة في الجنوب الغربي الجزائري خاصة بتندوف، فيرى البعض أنه كانت هناك دولة صنهاجية (بونت، 2015، ص 17)¹، قبل ظهور الحسانية في المنطقة، تقسمها قبيلتان تحتلان المحيط الجغرافي لهذه المنطقة بأكملها، وهما قبيلتي *أزناقة* و *أزير*.

العديد من الباحثين في اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا أكدوا هذا الامتزاج الذي يضم العديد من المفردات الأمازيغية وكذا الظواهر الفونولوجية والتركيبية وكمثال :

- في العربية : الشجاع

- في الحسانية : افكراش

- في الأمازيغية : أفكروش

¹. "المجال الثقافي واللغوي المتمثل في "تراب البيضان" ... في هذا المجال يعزى غالبا إلى المرابطين دخول الشعوب الصحراوية في التاريخ كما إلى الدور الحضاري، فهم المسؤولون تاريخيا عن أسلمة البلاد وهم المؤسسون للنظام الإجتماعي القبلي والمنزلاتي... القبائل البربرية الصنهاجية... قبائل كانت تسكن الصحراء الغربية قبل القرن الحادي عشر 11 وحتى قبل مجيء الإسلام، إن حضور تلك القبائل معلوم حتى أيامنا هذه من خلال الأسماء ذات الدلالة الإثنية مثلا أو من خلال إدعاء الأصول القبلية التي تنتهي إلى أسماء أعلام (تحيل إلى ملتونة خاصة...)، إن مصادر هذا التاريخ هي أقل تنوعا وأقل شهرة من تلك التي تعتمد عليها الرواية المغاربية فيما يتعلق بالمرابطين".

كما ذكر أنه من مظاهر التواصل الثقافي الأمازيغي الحساني ، الطوبونوميا : إذ تفيد الدراسات الطوبونومية على أن معظم أسماء الأماكن ذات أصول أمازيغية وكذا أسماء القبائل وبطونها). (أرجال، <http://tawiza.net/>)

ويمكننا أن نشير إلى بعض أسماء هذه القبائل مثل : أولاد تيدرارين وآيت بلقاسم والرقيبات. لكننا نجد ، ومن جهة أخرى ، أن البعض من أفراد المجتمع الحساني ، يرفض أن يكون هناك أي اختلاط مع أي لهجة بربرية أخرى ، والدليل على ذلك قول الشاعر البخاري ولد الفيلاي ولد بارك الله في قصيدته الطويلة المسماة "أطالع لمزاليق" عن اللهجة الحسانية :

لُغَةُ حَسَّانُ بِلَا سْتَنْزِيقُ لُغَةُ عَرَبْ نَحْنُ لَأَخْنِيهَا

ومعناه أن "لهجة بني حسان بدون ستنزيق أي بدون الاختلاط مع أي لهجة بربرية، هي لهجة (لغة) عرب ، قمنا نحن (العرب) بتلحيها ، أي بإنشائها والنطق بها ، مما يدل على هويتنا وثقافتنا وحضارتنا." (الكتاب، 1999، ص10)

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على رفض المجتمع الحساني لاختلاط لغته بأي لغة أخرى ، ومنه إحساسه وإدراكه بأهمية اللغة بالنسبة لهوية وحضارة الشعوب. فلكل هويته وثقافته الخاصة به ، كما نستنتج أيضا أن المجتمع الحساني يرفض أي امتزاج أو تثاقف مع أي كان لأنه من المجتمعات المنغلقة نسبيا.

وتمتاز اللهجة الحسانية بمرونة نطقها وعدم السرعة والمحافظة على سلامة مخارج الحروف المعروفة في القرآن الكريم بحيث ينقط كل حرف ويخرج من مخرجه الصحيح.

وأهم ما يلفت نظرنا كباحثين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا هو الدور الذي تستطيع اللهجة الحسانية أن تلعبه في إعطائنا النظرة الخاصة للمجتمع فيما يتعلق بموقفه من الجسد ، وهو المجال الذي نهتم به في بحثنا الحالية.

وتوجد كلمات في اللهجة الحسانية يوجه بها الحديث إلى الانسان دون الحيوان ، وأخرى إلى الحيوان دون الإنسان ، وكلمات يوجه بها الحديث إلى الرجل دون المرأة ، وأخرى إلى المرأة دون الرجل. ونعطي أمثلة عن ذلك فيما يلي:

■ عند الحمل : بالنسبة للمرأة ، يقال : امرأة حامل أو أبحقها أو أثقيلة ، أما بالنسبة لأنثى الحيوان فيقال : ناقة /مقرب.

■ عند الولادة : عندما تلد المرأة ، يقال بالحسانية أنها نفسة وأبرات ، أما أنثى الحيوان فيقال ولدت.

عند إلقاء التحية : بالنسبة للرجل ، يقال أش كيفاك بنصب الفاء ، ويرافقها خشونة في الصوت ، أما بالنسبة للمرأة فيقال لها أش كيفك بكسر الفاء كما يرافقها رقة في الصوت.

2. مجتمع البيضان وسيطرة اللسان الحسناني :

يعتبر بيار بونت أن مجتمع البيضان هو تلك المجموعات العربية المتواجدة في الصحراء الغربية، والتي ظهرت في نفس الوقت الذي هيمنت فيه اللغة والثقافة العربية على تلك المنطقة، وذلك بداية من القرن السادس عشر والسابع عشر، هذه السيرورة التي كانت، حسب، نتيجة للفتوحات عن طريق القبائل العربية الهلالية أو نتيجة لسيرورة عملية ثقاف معقدة والتي تكون قد رافقت التحولات الاجتماعية والسياسية لمجتمع بربري اللغة كان قد أسلم من قبل (Bonte, 1991, P141).

يضم مجتمع البيضان ثلاث فئات : فئة الأمراء والمحاربين أو بني حسان (أهل الشوكة)، فئة الزوايا وفئة الغارمين أو أزناكة أو اللحمة.

فحسب الباحث فيليب مارشزين فإن سنة 1674 تعتبر سنة انطلاقة تأسيس التنظيم الاجتماعي لمجتمع البيضان والذي يعتبر التعارض الشهير بين القوة العسكرية (العرب أو بني حسان) والزوايا (البربر) مكملًا له، فهذه السنة، حسب رأيه، انتهت بحرب 'شربيه' والتي نجم عنها إنتصار بني حسان نهائيا عللا البربر(مارشزين ، 2014، ص24).¹

¹. يقول فيليب مارشزين "لم يكن إنتصار بني حسان كاملا وإذا كان تفوقهم أكيدا على المسنوى العسكري والسياسي...إلا أن السلطة الروحية والأخلاقية بقيت غير مهزومة وهي سلطة الزوايا، حاملي القيم الدينية، وقد استمروا حتى الفترة المعاصرة في بسط قوتهم الزمنية".

إن أغلب الدراسات التي اهتمت بمجتمع البيضان تجمع على نقطة أساسية وهي العلاقة الجوهرية بين هيمنة اللهجة الحسانية وسيطرتها على المجال الصحراوي وبين الأسلمة العميقة للمجموعات البربرية بالإضافة إلى قدوم قبائل بني حسان إلى الصحراء الغربية بداية من القرن السابع عشر ميلادي (روايات أخرى تذكر القرن الرابع عشر، وأخرى تذكر القرن الحادي عشر)، هذه الأخيرة التي دخلت على مجموعة صنهاجة (الحيسن، ص10)¹ وسيطرت عليها وحولتها إلى شبه رعية لها. فلقد ساهمت التجارة عبر الصحراء ونشر الإسلام في بسط المجموعات الحسانية سيطرتهم على المجموعات الأخرى.

اعتمدت القبائل المعقلية والحسانية على إستراتيجية الشكل الجينالوجي، حسب رأي بيار بونت، الذي يحاول أن ينظم ما اعتبر أنه 'فتح عربي' لفضاء غرب الصحراء للسيطرة السياسية والعسكرية وحتى الاجتماعية، وهو ما أسماه 'التأريخ الظاهري' للوقائع، هذا الأخير يعتبره نوع من التأسيس لعروبة المجتمع البيضاني، العروبة التي تأكدت من خلال اعتماد لهجة حسانية تنسب للغة العربية وللقبائل الناطقة بها، وذلك بإبراز عروبته الجينالوجية التي لا تستند فقط إلى الأصول المعقلية بل إلى الشريفة والأنصارية والقرشية، وذلك بالاعتماد على إستراتيجية طمس التلاقي المكثف ما بين العناصر البربرية والعربية التي نشأ منها هذا المجتمع (بون، ص18).

فالقبايل الحسانية، والتي تتشكل من الأمراء والمحاربين، تعتبر الجناح العسكري للأرستقراطية البيضاء، وهي الفئة المسيطرة داخل هذا النظام، إن مجتمع "البيضان" يتميز بنظام حكم أوليغارشي (أي أنه نظام ذو علاقة بحكم الأقلية) (محمدين أمين، 2016، ص55)، وهذا ما يفسر سرعة انتشار اللسان الحساني وهيمنته على اللهجات الأخرى في هذا المجال الصحراوي المتعدد الإثنيات².

¹. "لقد تشكل مجتمع 'البيضان' من اندماج مجموعتين كبيرتين، قديمة من شعب صنهاجة المثلثين وجديدة من قبائل بني حسان العربية 'الهلالية'، مع نسب قليلة متفاوتة التأثير، بعضها من أسلاف البربر الأولين كالجرمنت 'أغرمان'، وبعضها الآخر من الوندال، والبربر اليهوديين وأيضا من الأحباش 'الكوشيين' أسلاف 'الحراطين'، وأصل تسميتهم بربري، إحراضن، الخلاسي، الهجين من أب بربري وأم حبشية أو العكس. وكذا من بربر الجرمنت (أغرمان) والكثير من أسر الحراطين من أصول أغرمانية-لوبية امتزجت مع الأحباش في الحضارة الكوشية".

². وهذا ما لاحظناه في زيارتنا الميدانية لنواكشوط (موريتانيا) السنة الماضية (في إطار بحث ميداني أنثروبولوجي معمق حول مجتمع البيضان)، فبالرغم من تعدد الألسنة في المجال الموريتاني فلا زالت اللهجة الحسانية تفرض سيطرتها بالمقارنة مع اللهجات الإفريقية لأن قبائل بني حسان وقبائل الزوايا لازالت تفرض سيطرتها السياسية والاقتصادية.

يعتقد الباحث الموريتاني محمّدو محمّدن أمين أن طرد الموريسكيين من غرناطة قد ساهم مساهمة كبيرة في زيادة عدد السكان البيضان بالصحراء، والذين كانوا يعتمدون على التجارة كإستراتيجية للسيطرة على هذا الفضاء، وبالأخص تسويق الملح، الصمغ العربي، الذهب، ريش النعام، التمر، الجلود والعاج (محمّدن أمين، 2016، ص 42 ، 54).

يؤكد الأنثروبولوجي الموريتاني عبد الودود ولد الشيخ على أن "النظام القبلي الذي يتحكم في العلاقات أو الروابط بين الأفراد والجماعات داخل مجتمع البيضان (société maure) ، يظهر من خلال التمييز حسب المكانة statutaire بين قبائل حسان (المحاريين)، قبائل الزوايا (المرابطون) وقبائل التابعة أو الدخيلة (لحمة أو ازناكة)" (Wedoud, P201).

استطاعت القبائل الحسانية السيطرة على مجال واسع من غرب الصحراء الكبرى بالاعتماد على نظام أوليغارشي يعتمد على احتكار السلاح والدين، وهذا ما جعل هذه القبائل تسيطر سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

دخول القبائل الحسانية على الجماعات الصنهاجية وسيطرتها على المجال الصحراوي جعلها قادرة على الدخول في تحالفات مع قبائل الزوايا، وذلك من خلال الاعتماد عليها في تعليم اللغة العربية ونشر تعاليم الإسلام للسيطرة على أكبر قدر ممكن من القبائل الإفريقية بالاعتماد على سياسة احتكار التبادلات التجارية.

حسب محمّدو محمّدن أمين فإن قبائل الزوايا (محمّدن أمين ، ص 57) هي التي تشرف على تحصيل ونشر المعارف العربية الإسلامية وممارسة التجارة والتنمية، بينما تعيش القبائل الحسانية "في العادة على الصيد البري وعلى المغارم والإتاوات التي يفرضونها على الآخرين، إذ أنهم يأفنون من ممارسة الأنشطة الأخرى كالزراعة والرعي والتجارة، معتبرين أن مثل هذه الأعمال مخلة بمكانتهم الاجتماعية" (محمّدن أمين ، ص 55).

يعتبر مجتمع البيضان من المجتمعات التي تشدد على بقاء كل فرد في زمرته الاجتماعية، لأن الاختلاط بين هذه الزمر أو الطبقات الاجتماعية يبيع الفوضى والغوءاء، كما يبيع اختلاطا من المتعذر التحكم فيه. فالحفاظ على المكانة الاجتماعية بالنسبة للقبائل الحسانية مهم جدا للحفاظ على سيطرتها الثقافية، الاجتماعية، السياسية والاقتصادية على الفضاء الذي تعيش فيه.

3. القبائل الناطقة باللهجة الحسانية بتندوف ونظامها الاجتماعي :

المجتمع التندوفي من المجتمعات الصحراوية الحسانية مثله مثل المجتمع الموريتاني وجنوب المملكة المغربية والصحراء الغربية ، ولا يمكن فهم وضع اللهجة الحسانية في الفترة الراهنة بدون معرفة دقيقة ومعقدة لأهم القبائل، التي تصاهرت مع القبائل المذكورة سابقا (تجكانت والرقيبات)، مثل قبيلة الشعانية والشرافة، لأن عميلة التثاقف بينهم كانت واسعة ومهمة، وبالتأكيد سيكون لها أثر مهم على اللهجة الحسانية لأنها اللهجة التي لازالت تفرض مكانتها من بين اللهجات الوطنية الأخرى، خاصة في مدينة تندوف.

والإنسان التندوفي بطبيعته هاو للشعر وناطق في معظمه باللهجة الحسانية ، وهي من اللهجات العربية، تتكون بنسبة 80 بالمئة من المفردات العربية مثل: أشطاري ، ياك العافية ، ياك الصحة ، مارتوباس ، الخ .

وتقطن بالمنطقة مجموعتان رئيسيتان بالإضافة إلى الغنانمة والشعانية ، وهما قبيلتا تجكانت والرقيبات. وتعتبر قبيلة تجكانت من القبائل الأولى التي سكنت المنطقة وبنّت وشيدت فيها. وهي من أكبر قبائل لمتونة، ويقال أنها شكلت ربع جيش المرابطين ، ولقد عدد "المختار بن بونا أبناء جاكنا الأبر في الأبيات التالية :

أبناء جاكنا الأبر أثناء من بعد عشر فلهم نظمنا

يوسف أعمار قلال رمضان إبراهيم يعقوب اتفاق موسان

بيج وابن زلمط وناصر دوشر لذاك قرري وحرري" (النحوي 2004)¹

وهذه القبيلة من القبائل المحافظة ، حيث أن المرأة تملك مكانة وسلطة معتبرة لكن داخل بيتها فقط.

أما اسم قبيلة الرقيبات (Caratini, 1989, P9)² فإنه يرجع إلى جدهم سيد أحمد الرقبيني ، الذي سمي بالرقبيني بسبب حادثة تعرض لها عند نزول أمطار أحدثت فيضانات. فصعد سيد أحمد

¹ خليل النحوي، جمعية الثقافة والعلوم الإسلامية، تحصلنا على نسخة من هذا النص من طرف الشيخ الطاهر لحبيب، بتندوف، سنة 2004.

² « Lorsque les forces françaises occupent l'Adrar mauritanien, en 1905, et regardent vers le nord, elles sont arrêtées par un espace désertique immense et inconnu, sur lequel une tribu bédouine finit à peine d'instaurer sa suprématie : les Rgaybat. Tel Ets le nom des descendants du Sid Ahmed ar-Rgaybi, saint

فوق مرتفع يقال له باللهجة الحسانية "رقيب" أو "رقيبة" وتعني المرتفع. ويوجد بالفعل هذا المرتفع في منطقة واد الدرعة، وهي منطقة محاذية للمغرب.

وينقسم أبناء سيد أحمد الرقيبي إلى اثني وعشرين عرشا يصنفون في قسمين: *أرقيب القاف* و*أرقيب الكاف* بسبب وضع علامات وحرفي القاف والكاف على الماشية.

والرقيبات من القبائل التي سكنت المنطقة منذ زمن بعيد، وكانت لها مساهمة معتبرة في إثراء الماضي والحاضر الثقافي للمنطقة، كما أعطت مكانة اجتماعية معتبرة للمرأة في كافة مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فالمجتمع الحساني من المجتمعات التي تشدد على بقاء كل فرد في زمرة الاجتماعية، لأن الاختلاط بين هذه الزمر أو الطبقات الاجتماعية يبيح الفوضى والغواء، كما يبيح اختلاطا من المتعذر التحكم فيه.

النظام الاجتماعي لهذه القبائل يختلف من منطقة إلى أخرى، فالقبائل الحسانية التي تقطن بالجنوب الغربي الجزائري تختلف عن تلك التي تعيش بموريتانيا والصحراء الغربية وجنوب المغرب، لذلك سنحاول أن نخصص هذا المحور للنظام الاجتماعي الخاص بالقبائل الحسانية أو بتعبير أدق "القبائل الناطقة باللهجة الحسانية"، لأنه كما ذكرنا سابقا هناك خلط بين النسب حسب العرق والإثنية وبين النسب حسب اللغة المنطوقة، لذلك نحن نفضل استخدام تسمية "القبائل الناطقة باللهجة الحسانية" لتفادي الوقوع في فخ التحيز لرأي دون الآخر، ونخصص هذا الجزء للقبائل التي تعيش بمنطقة تندوف أقصى الجنوب الغربي الجزائري.

من بين المعايير الاجتماعية والتي تبرز بقوة ولا يجب الإغفال عنها، داخل هذا النظام الاجتماعي، الاختلاط عبر الزواج (كبه، 1972، ص 11)¹، وانتقال أفراد الفئة الأقل مركزا اجتماعيا إلى

homme, descendant du Prophète-dit-on et qui s'installa, au début du 17 siècle, au sud du Wad Dar 'a, avec sa famille et quelques disciples .», Sophie Caratini, *Les Rgaybat*, Tome 2, *Territoire et société*, L'Harmattan, Paris, 1989, p. 9.

¹. يرى بيار لاروك أن الأساس العام لكل التصنيفات القديمة هو المركز الذي يشغل في الحياة العامة، كالدور الحربي مثلا، بينما لم يحظى الدور الاقتصادي للفرد في كل العصور وفي كل الحضارات بأهمية متساوية في التصنيف الاجتماعي... ويعتبر أن السلوك النفسي والوجدان الجماعي يعبر عن الفوارق في طراز المعيشة بفوارق في السلوك النفسي، ويترجم الانتساب إلى طبقة اجتماعية بطريقة تفكير، وباستجابات نفسية مشتركة تجاه بعض المشكلات، وبالأفكار المسبقة. كما أن لكل طبقة خرافاتها الاجتماعية وتقاليدها، ويترجم هذا الشعور الطبقي فعليا في عادة المعاشرة بين عناصر الزمرة الاجتماعية الواحدة، وفي الزواج من نفس الزمرة.

الفئات التي تعلوها، والعكس صحيح. فأفراد هذا المجتمع يدركون أهمية النسب والقرابة في تماسك وتضامن أفراد الزمرة الاجتماعية الواحدة. والزمرة الاجتماعية المعروفة في هذا المجتمع هي حسب الترتيب التنازلي: الأسياد "البيضان"، العبيد "الرق"، الحرفيين والحدادين "المعلمين أو الصناع".

وهناك تصنيف أو تقسيم آخر للطبقات، والذي يكون على أساس أصل القبيلة بما فيها من أسياد وعبيد وحدادين، ويقال حسب الترتيب التنازلي: الشرفاء، العرب، "الدخيلة". وسندقق في شرح كل فئة على حدا اعتمادا على الملاحظة والمعايشة.

1.3. التفاوت في الزمر داخل القبيلة الواحدة :

وتنقسم كل قبيلة من القبائل الحسانية المتواجدة بمنطقة تندوف إلى ثلاث طبقات متفاوتة حسب المكانة والسلوك الاجتماعي والدور، وهي كالآتي :

1.1.3. البيضان :

البيضان (الحيسن، ص10)¹ هو بالمعنى الثقافي للكلمة، الشخص الذي يتقن اللهجة الحسانية، فيقال "أفلانَ بيضاني مع رأسو"، بمعنى أنه استطاع أن يتقن بعض من مميزات الفرد الحساني، كأن يتكلم الحسانية، أو يرتدي الزي الحساني، أما الفرد الذي لا يتقن اللهجة الحسانية، يقال له "الشلج"، بمعنى فلان بربري اللغة أو التصرفات، إذن فعندما نأخذ الكلمة بهذا المعنى فالبيضاني هو الحساني، وقد يكون عبداً أو حراً أو مُعلماً.

لكن بالنسبة لأصل الكلمة الإثني، فالبيضاني هو الفرد الأبيض، الحر والحساني، وفي هذا الصدد لا يفوتني أن أشير إلى ما جاء عن الباحث عماد المغيري، في مجلة "إنسانيات" (المغيري، 2006، ص61-79)، فقد لا أشاطره الرأي فيما يخص مكونات المجتمع الموريتاني، حين فرق بين الحساني واللحمة والمعلمين والحرطين، فالمجتمع الحساني يضم كل الفئات بما فيها البيضان، مُعلّمين، العبيد،

¹. وهذا ما نجده لدى الباحث إبراهيم الحيسن حين قال "كان مصطلح البيضان شائعاً في كتب الجغرافيين العرب منذ القرن الرابع الهجري لوصف صنهاجة الصحراء في مقابل شعب السودان الواقع جنوباً، ثم أصبح يطلق على الناطقين بالحسانية منذ القرن الحادي عشر الميلادي، لكنه كان مقصوراً على النبلاء من العرب (المحاربون) والزوايا (أهل الخطط الدينية)، وكان اسم 'الكلان' يطلق على الفئات الأخرى 'الحدادون' و'الزفانون' Les Griots (أرباب الموسيقى)، ثم تطور لفظ البيضان ليطبق على كل متحدث للحسانية بغض النظر عن لونه ومهنته، مع بقاء الاستخدام الأصلي في الإستعمالات الخاصة داخل نخبة المجتمع"، إبراهيم الحيسن، ثقافة الصحراء : الحياة وطقوس العبور عند مجتمع البيضان، مرجع سبق ذكره، ص 10.

الحراطين، واللحمة (الدخيلة)، بينما مجتمع البيضان، قد يضم كل هذه الفئات إذا ما أردنا التعبير عبر كلمة "بيظاني" عن الحسناني، بينما قد تعبر الكلمة إثنيًا عن العرق الأبيض العربي.

إذن إنّ طبقة البيضان تعني طبقة الأحرار، فهي الأعلى شأنًا عن الطبقات الأخرى، لأنها هي من تملك كل أفراد الطبقات الأخرى، حسب معتقدتهم، ولها كامل الصلاحيات في التصرف فيهم. فيقال للذكر "البيظاني"، وللأنثى "البيظانية"، بحيث تكون أصولهم عربية من عرق أبيض، معروف في الأجداد والشجرة العائلية. والمعروف عن البيضان أنهم من أصول حرة، لم يملكهم أحد من قبل، بل هم من يملك العبيد.

ويخدم العبد سيده البيظاني بأنشطة منزلية كالطهي والتنظيف، والمتعة الجنسية أحيانًا. أمّا معلّم فدوره يكمن في صنع أدوات التزيين المنزلية ومعدّات الحرب، والملاحظ أن هذه المظاهر الاجتماعية لم تبق كتمارسه، بل كاعتقاد فقط. فأصبحت هكذا كل طبقة حرة بحكم ظهور المجتمعات المدنية. لكن الارتباط المعنوي والخفي بين السيد وعبد ومعلمه مازال قائمًا، ولا يزال الزواج من غير أفراد الطبقة الواحدة ممنوعًا منعا باتًا، بل محرّمًا في بعض الأحيان.

وتعرف النساء "البيظانيات" بجمالهن الأخاذ وبطول شعرهن وسواده العربي الأصيل، كما تعرفن بنعومة أجسادهن ورطوبتن، وبياض بشرتهن، وبمشيتهن بتكبر وكبرياء وجمال لباسهن كذلك.

2.1.3. العبيد :

وهم فئة الرق، والعبد هو من يشتريه السيد أو يحصل عليه من خلال الحروب مع القبائل الأخرى. ويسمى الذكر في المجتمع الحسناني "عبدًا"، والأنثى "الخادم" أو "الجارية"، وكما ذكرنا سابقًا فدور العبيد يكمن في خدمة "البيضان". فالعبد يأتي بالغذاء والحطب ويحمل كل ما هو ثقيل بالنسبة للسيد، بينما تتكلف "الخادم" بالطهي والتنظيف، بالإضافة إلى خدمة السيد في حالة ما أراد التمتع جنسيًا بها أو الإنجاب. وبإمكان ابن الجارية أن يصبح سيدًا إذا أراد السيد ذلك، أمّا في حالة الرفض فسيبقى عبدا مملوكا لا حول له ولا قوة.

والملاحظ أن هذه العبودية تلاشت خلال العقود الأخيرة، مع الإشارة إلى أنّ العبد مازال عبدا كاعتقاد، يمنع عليه الزواج من "البيظانية" إلّا في حالات استثنائية تتعلق بتحريره. ولا يمكن أن يستفيد من ذلك إلا من كان من أب "بيظاني" وأم "جارية".

وتعرف "الخادم" عادة بسواد بشرتها وكبر أنفها، وشعرها المجعد، وخشونة جسدها وبشرتها.

3.1.3. المعلمين :

وَمُعَلِّمِينَ هُمْ طَبَقَةُ الْحَرْفِيِّينَ وَالْفَنَّانِينَ وَالصَّنَاعَ، وأكثر ما يميّز هذه الطبقة هو أن أجدادهم الأولين كانوا حدّادين، وهم الفئة الأدنى شأنًا واعتبارًا في المجتمع الحسّاني. ويرجع هذا النبذ لهذه الطبقة إلى اعتقاد سائد مفاده أن الرسول صَلَّى الله عليه وسلم يكون قد لعن الحدّاد، مما جعل هذه المجموعة من الحدّادين منبوذة، مع أنه من المعروف أن سيدنا داوود عليه السلام كان حدّادًا وهو نبي، وجاء في القرآن الكريم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾¹،

والآية ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾².

فكيف لهذه المجموعات أن تنبذ كافة الحدّادين أو الأفراد الذين تنحدر أصولهم من أجداد حدّادين؟ ومن المعروف أن الرسول صَلَّى الله عليه وسلم لم يلعن في حياته أحدا مهما كان نوع خطئه. ونتساءل، من جهتنا، عن خلفية هذا النبذ، الذي قد تكون لغرض سياسي هدفه إبقاء هذه الفئة مهمشة، مع أنها تملك الصنعة والإبداع والفن بما تحمل هذه الكلمة من معنى، هذه الصناعة التي أقيمت من أجلها ثورة في دول أوروبا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وتعرف نساء فئة مُعَلِّمِينَ بجمالهنّ الأخاذ وسمرتهنّ الجذابة، وأجسادهنّ المرسومة بشكل يثير القريب والبعيد. ويكمن السر في بقاء هذا الجمال وشكله الخاص في الزواج الداخلي، فالمعلمة لا تتزوج إلا من معلم، لأن زواجها بفرد من الفئات الأخرى مستحيل المنال بل ممنوع.

وما نلاحظه أنّ هذه الفئة موجودة ومعروفة بهذا الشكل في المجتمعات الحسّانية فقط، مما يميزها عن غيرها من المجتمعات العربية الإسلامية الأخرى.

والغريب أنه عند محاولة الاقتراب من أحد المسنين من الفئات الأخرى، فإنك لا تحصل على مبرر لهذا التهميش والإقصاء القاسي لهذه الفئة، بل فقط أنها مسألة ورثت على الأجداد ولا يمكن تغييرها، وإلا نزل السخط والعقاب الإلهي.

والمعلوم أن الجارية يمكنها الإنجاب من سيدها، كما أن لولدها الأمل في أن يصبح حراً، لأن القرآن الكريم جاء بتحرير الرقيات والعبيد. ولا يمكن للمعلمة، ممارسة وتمثلاً أن تقترب من السيد، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإلا تنزل عليه اللعنة السماوية.

1. سورة سبأ، الآية 10.

2. سورة سبأ، الآية 13.

2.3. الزمر حسب الانتماء إلى القبيلة :

هناك تقسيم طبقي فتوي من نوع آخر، فبينما كان الأول داخل القبيلة وداخل البيت الواحد، فإن هذا التقسيم يكون على حساب الإنتماء إلى قبائل دون الأخرى، ويكون على أساس قدم القبيلة وعدد أفرادها واستقلاليتهما، وهي كالاتي:

1.2.3. الشرفاء :

وهم النبلاء والذين ينحدرون من شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكون بالطبع الزواج داخلي، فالرجل الشريف لا يتزوج إلا من امرأة شريفة، وفي حالات نادرة يمكنه أن يتزوج بامرأة عربية أصيلة معروفة الأجداد والأصول. والنبلاء معروفون بطبائع حسنة، متدينون، محافظون، والأماكن التي يتواجدون بها هي أماكن مقدسة يستحسن زيارتها والتبرك بها، والمتعدّي عليها يوعد بعقاب إلهي أكيد. هذا ما يعرف عن الشرفاء في المجتمع الحسناني، ويقال باللهجة الحسنانية "فلان شريف" أي مسالم ومؤدب، والتعدي عليه يؤدي صاحبه إلى الهلاك.

2.2.3. العرب :

يقال أنها كل القبائل التي تنحدر أصولها من الجزيرة العربية واليمن، ومنهم قبيلتي الرقيبات وتجانك، وهي القبائل المعروفة من ناحية قوتها وتاريخها، ولا تنتهي تاريخيا إلى أي قبائل أخرى، لأن شجرتهم العائلية معروفة من الجد الأول إلى الجد الأخير، حسب اعتقادهم، وهي القبائل التي تدخل في حمايتها القبائل التي سنذكرها لاحقا، بحيث أنّ انتماء هذه القبائل لها يزيد قوة وشأنا وعظمة بين القبائل الأخرى. وتعرف هذه القبائل العربية بتاريخها الحربي وتجارتها المحلية والخارجية.

3.2.3. الدخيلة :

الدخيلة هي القبائل التي عرف عنها تاريخيا أنها دخلت على القبائل العربية الكبرى وانضمت لها، بطلب رسمي ومعلن على الرغبة في الانضمام إلى قبيلة ما. ويقال حسب الحكايات الشفوية أن انضمام هذه القبائل الدخيلة يكون بسبب إمّا أنّ هذه القبيلة ضعيفة القوة وقليلة العدد، وذلك يكون في الغالب نتيجة تعرضها لغزو من طرف قبائل أخرى، أو أنها قبيلة من جد غير معروف، فيقال باللهجة الحسنانية "فلان أَلَا لَحْمَة"، بمعنى أن هذا الشخص ليس سوى لحما، أي أنه غير معروف الأصل والدم، وهذا ما يضعف شأنه وأصله، لأنه مجهول الأصل، لذلك تعتبر القبائل الدخيلة في معظمها قبائل غير معروفة الأجداد والأصول، فيكون الحل الأمثل هو الانضمام إلى قبائل عربية معروفة بالشرف والعفة والقوة.

لكن الجميع يجهل سبب وضع هذا القانون التعسفي في حق هذه الفئات، وكأنه جاء نتيجة تراكمات اجتماعية نجهلها، فالطبقات في المجتمع الحساني شيء تعسفي افتراضي.

والدليل على ذلك يكون بمقارنة المساواتية النظرية في الإسلام وواقع التفاوتات الفئوية والطبقية. فالإشارة إلى القيم والمعايير متفاوتة، أي أنّ دور الدين مهم في تسيير شؤون المجموعات البشرية، لكن ليس لوحده، بل تدخل القيم الناتجة عن العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية، هذه القيم التي من الصعب فهمها والتحكم فيها. والمثال واضح وأكيد، فرغم محاولة مجموعات مثقفة حسانية تجاوز هذه التفاوتات الطبقيّة لم تفلح، لأنها في الواقع لم تتجاوز هذه الاعتقادات المتجذرة عبر التراكمات الاجتماعية المترسخة من جهة، والمجهولة المصدر من جهة أخرى.

ويصعب التمييز بين الطبقات والزمرة الاجتماعية في المجتمعات البدائية التي تقوم على أساس القرابة أو القبيلة، كما أنه من الصعب كذلك التعرف أو الوقوف على العوامل الأساسية التي يتم وفقها هذا التمييز والتفاوت. ومن أقدم أنواع التمييز التي كانت بين الأحرار والعبيد ما عرف في المجتمع المدروس، والذي لم نجد له تفسيراً واضحاً وأكيداً هو وجود فئة المعلمين التي تأتي في آخر سلم الترتيب بعد العبيد.

ومن بين العوامل السياسية التي تعزز هذا التفاوت والتمييز عامل الدفاع والحماية. فمما لاحظناه من خلال التفاوتات حسب الانتماء إلى القبائل أن القبيلة القوية والكثيرة العدد والعدة هي القادرة على الدفاع وحماية القبائل الضعيفة، وهي الأولى بالحكم والسيادة في مقابل ولاء القبائل التي تنضم إليها طواعية واعترافاً بالجميل. نضيف إلى ذلك العامل الاقتصادي الذي يتمثل في التمييز بين الفئات حسب امتلاكها الأراضي وسيطرتها عليها، إمّا عن طريق الحروب، أو باعتبارها الأولى التي دخلت هذه الأراضي، مما يجعل الفئات الأخرى ملزمة بالخضوع لها والدخول تحت رحمتها.

ورغم تطور حقوق الإنسان والمؤسسات القانونية التي تمنع هذه التمييزات والتفاوتات وتلغي العنصرية، فإن هذه المجتمعات المنغلقة نسبياً لم تستطع تجاوز هذا التمييز دفعة واحدة. بل بدأت تتأقلم مع هذه الأوضاع القانونية والاجتماعية الحديثة بالتدرج وبشكل بطيء غير محسوس إلاّ عبر المقارنة البعيدة الأمد.

الخاتمة

اعتمدت المجموعات البشرية ذات الأصول العربية، كما تدعي، المستوطنة بالصحراء الإفريقية على نشر العربية والإسلام بالإضافة إلى التجارة والحروب للسيطرة على هذا المجال، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في وقتنا الراهن من خلال التنوع اللغوي والممارساتي والطقوسي للمجموعات التي

تنتهي إلى هذا الفضاء الشاسع والمتنوع. لكن الباحث المتمعن والمتفحص للهجات المستعملة يمكنه بسهولة الوقوف على تداخل اللهجة الأمازيغية مع العربية. هذا الأخير (أي التداخل) هو الذي يعطينا هذا التنوع اللهجي، بالرغم من إدعاء هذه القبائل عروبة ألسنتهم وأصولهم.

لاحظنا مما سبق أنه يصعب على الباحث أن يقارب موضوع اللهجات بسبب تداخل عدة عوامل نذكر من بينها :

- تداخل التنوع العرقي والتنوع اللهجي مما يصعب علينا تحديد مدى تأثير احد العوامل على الآخر
- صعوبة مقارنة روايات الأصول لأنها تعتمد، في معظمها، على الشفوية
- قلة الكتابات التي تؤرق الباحث المهتم بهذا المجال
- تداخل التخصصات والمناهج المعتمدة لمقاربة موضوع اللهجات بين العلوم الإنسانية، اللسانيات، الأنثروبولوجية التاريخية والثقافية والإجتماعية.

قائمة المراجع والمصادر:

المراجع باللغة العربية :

- الحيسن، إبراهيم. (2011). ثقافة الصحراء : الحياة وطقوس العبور عند مجتمع البيضان. دار أبي رقراق للطباعة والنشر. الرباط.
- بونت، بيار. (2015). روايات أصول المجتمعات البيضانة : مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء. (ترجمة، محمد بن بوعليبة بن الغراب). دار النشر جسور. نواكشوط. موريتانيا.
- هباد، حمادي وسويدي تمكليت. (2013). اللسان الحساني بمجال الصحراء : معالجات تأثيلية ولسانية. ط1. مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع" مراكش.
- النحوي، خليل. جمعية الثقافة والعلوم الإسلامية، تحصلنا على نسخة من هذا النص من طرف الشيخ الطاهر لحبيب، بتندوف، سنة 2004.

- مارشزين، فيليب. (2014). القبائل، الإثنيات والسلطة في موريتانيا. (ترجمة، محمد بوعلييه بن الغراب). دار النشر الجسور. نواكشوط. موريتانيا.
- الميغري، عماد. (2006). "المسألة الإثنية والدولة في موريتانيا وانعكاسها على الخصوبة والسلوك الإنجابي للأقليات". إنسانيات، عدد مزدوج 32-33. ص 61-79.
- محمدن أمين، محمدو. (2016). وثائق من التاريخ البيضاني (نصوص فرنسية غير منشورة : ترجمة وتحقيق وتعليق). دار أبي رقراق للطباعة والنشر. الرباط.
- أرجدال (بوزكران)، محمد. "التواصل الثقافي الأمازيغي الحساني". (15/04/2004) <http://tawiza.net>.
- الكتاب، مصطفى. (1999). ليبيديع. ط1. دار المختار. دمشق.
- حسام الدين، كريم زكي. (2001). اللغة والثقافة العربية. ط2. دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة.

المصادر:

- الأنصاري، صالح بن عبد الوهاب. سلسلة الحسوة البيسانية. (تحقيق: أحمد بن محفوظ). (رسالة مرقونة).
- ولد أباه، محمد المختار. (2003). الشعر والشعراء في موريتانيا. ط2. دار الأمان. الرباط.

المراجع باللغة الفرنسية :

- Bonte, Pierre et autres. (1991). AL ANSAB: la quête des origines, Anthropologie historique de la société tribale arabe. MSH. Paris. 1991.
- Bonte, Pierre. (1994). Epouser au plus proche: Inceste, prohibitions et stratégies matrimoniales autour de la Méditerranée, Editions de L'Ecole des Hautes Etudes En Sciences Sociales. Paris.
- Caratini, Sophie. (1989). Les Rgaybat, Tome 2. Territoire et société. L'Harmattan. Paris.

كتابة الرسائل الجامعية في التخصصات العلمية وتحدي التعريب: تخصص الرياضيات أنموذجا

Writing university theses in scientific disciplines and the challenge of Arabization: Mathematics as a model

د. فضيلة دقناتي *

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر (ورقلة - الجزائر)

Dr. Fadila Deguenati

Center for Scientific and Technical Research on Arabic Language Development

Linguistic Research Unit and Arabic Language Issues in Algeria (Ouargla-Algeria)

deguenatifadila@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/15	تاريخ القبول: 2020/11/29	تاريخ استلام المقال: 2020/11/07
-------------------------	--------------------------	---------------------------------

ملخص

لم تكن اللغة العربية عاجزة في فترة من فترات تاريخها عن استيعاب الجديد من مصطلحات العلوم والفنون والمعرفة، فتراثها الزاخر بالمؤلفات المتخصصة في الطب والصيدلة والرياضيات وغيرها خير دليل على ذلك.

واليوم نجد أبناء العربية يفتنون بلغات أخرى يرون أنها أكثر ملاءمة للتقدم العلمي والتطور الحضاري، ويعتقدون أن لغتهم لغة شعرية غنائية فحسب. والحقيقة أن الخلل لا يكمن في اللغة العربية وإنما يكمن في إبعادها عن مجالات العلوم لا سيما في مجالات البحث العلمي؛ فنجد أن الرسائل الجامعية في جامعاتنا الجزائرية (والعربية عموما) تنجز في أغلبها بلغات غير العربية، ويرجع ذلك إلى أسباب سنتطرق إلى دراستها في ورقتنا البحثية هذه. وسنسعى إلى إبراز نماذج تعكس التوجه إلى كتابة الرسائل الجامعية في التخصصات العلمية باللغة العربية. وسننتقل من إشكال مفاده: هل يمكن للغة العربية أن تكون لغة تخصص دقيق وتعبّر عن أفكار الطلبة الجامعيين في التخصصات العلمية؟

الكلمات / مفاتيح: التعريب: التعليم الجامعي: الرياضيات: اللغة العربية.

Abstract

During the period of its history, Arabic was unable to absorb the new terminology of science, art and knowledge. Its rich heritage of specialized works in medicine, pharmacy, mathematics and others is proof of this.

Today, the sons of Arabia are fascinated in other languages that they believe are more suited to scientific progress and cultural development, and believe that their language is a poetic language only. In fact, the problem lies not in the Arabic language but in its exclusion from the fields of science, especially in the fields of scientific research. Theses in our Algerian universities (and Arabic in general) are mostly accomplished in languages other than Arabic. this is. We will endeavor to highlight models that reflect the orientation towards writing academic transcripts in scientific disciplines in Arabic. We will start from the problem: Can the Arabic language be a language of specialization and reflect the ideas of university students in scientific disciplines ?

Keywords: Arabization; University education; Mathematics ;Arabic.

1. مقدمة:

لا ينكر عارف بتاريخ الجزائر الأثر السلبي الكبير الذي تركه الاستعمار الفرنسي في ميادين عدة، فالجزائر التي دفعت ثمنها ليس بالهين في سبيل استعادة هويتها متمثلة في الإسلام والعروبة مازالت حتى الآن حبيسة أغلال تركها المستعمرو صعب التخلص منها. ومن أبرز الآثار التي خلفها المستعمر في الجزائر استفحال استخدام اللغة الفرنسية في مجالات الحياة المتنوعة، بدء بالاستعمال العام وانتهاء إلى أعلى المستويات.

ولعل المطلع على التعليم الجامعي في الجزائر يلحظ التوظيف الكامل للغة الفرنسية في معظم التخصصات العلمية والتقنية، فالمصطلحات التي تستخدم هي مصطلحات فرنسية وكذا الشرح والتفسير. كما أن الأثر امتد إلى تدريس هذه المواد في المستويات الأدنى، فالتلميذ الجزائري أصبح مجبرا على كتابة الجمل العلمية (مساويات رياضية، أو معادلات...) من اليسار إلى اليمين، كما أنه يوظف رموزا فرنسية منذ تعليمه الابتدائي، في حين أن الشرح والتفسير يكون في هذه المراحل باللغة العربية ما يولد لديه عدة تساؤلات.

2. اللغة العربية في الجزائر:

1.2. الواقع اللغوي في الجزائر:

اللغة العربية هي اللغة الرسمية للجزائر منذ استقلالها سنة 1962م، فقد أكدت دساتير البلاد المختلفة على هذا المبدأ، فالجزائريون -والمغاربة عموما- تبنوا اللغة العربية مع الفتح الإسلامي، وكان ذلك عن قناعة راسخة، جعلتهم يؤلفون المؤلفات، وينتجون النصوص الأدبية باللغة العربية، ويسعون جاهدين لتعلم علومها والنبوغ فيها.

ولكنهم مع ذلك حافظوا على لغاتهم الأولى، فالأمازيغية لم تندثر في الجزائر بل ظلت متماشية مع العربية دونما تصادم أو صراع، وبقي الحال كذلك إلى فترة متأخرة أثناء الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى التفريق بين الجزائريين عن طريق التمييز بين العرب والأمازيغ، وراح ييث روح القومية الأمازيغية في مناطق عدة، لكن وعي الشعب الجزائري حينها أحبط هذه المؤامرة، ومما يذكره لنا من عايشوا هذه الفترة أن الكثير من الأمازيغ توجهوا إلى تسمية كل ولد يولد باسم "العربي" ردا على مزاعم الاستعمار.

إنّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر خصوصا يختلف عن أي استعمار لدولة عربية أخرى، لقد كان يعتبر الجزائر جزءا من فرنسا، كما عمل جاهدا على طمس الهوية الجزائرية، فجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للتعاملات جميعها، كما حرص على تقديم تعليم عالي الجودة للجزائريين باللغة الفرنسية، فكان على الجزائري أن يتعلم الفرنسية، لا ولاءً للمستعمر، وإنما لضرورة فرضتها هيمنة القوي، وبهذا تشكّل جيل جزائري مثقف لا يحسن سوى اللغة الفرنسية، إضافة إلى أنّ كبرى المدن الجزائرية كانت مُستوطنة من قبل الفرنسيين.

واليوم وبعد ما يناهز نصف قرن من استقلال الجزائر مازالت كبرى المدن (في الشمال الجزائري خاصة) ملوثة لغويا، فلافتات المحلات والمؤسسات العمومية والخاصة في أغلبها مكتوبة باللغة الفرنسية، بل وحتى بعض تسميات الشوارع فرنسية، ومعظم الكلام الدارج على الألسنة فرنسي. ومع ذلك فإنّ العربية كما صمدت في وجه المستعمر طويلا تأخذ مكانها شيئا فشيئا في المجتمع الجزائري لغة للتواصل والتعليم، وعلى حد تعبير أحدهم¹: صحيح أنني لا أحسن التكلم باللغة العربية،

¹ - مواطن من أصل أمازيغي عايش الثورة التحريرية في العاصمة الجزائرية.

لكهما بالنسبة لي أكبر من ذلك بكثير، للغة العربية مكانة في قلوبنا لا تُنتزع، هي بالنسبة إلينا الانتماء والهوية والحرية.

التعريب في الجزائر:

لكلمة التعريب معنى أساس في المعاجم العربية، جاء في اللسان: "تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها؛ تقول عربته العرب، وأعربته أيضا" (ابن منظور، مادة: ع رب) ، وجاء في المعجم الوسيط: "التعريب: صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية" (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص591). وقد أخذت هذه الكلمة معنى جديدا في ظل الظروف التي مرّت بها الأقطار العربية، وهيمنة الاستعمار الأجنبي على جلّها، فأصبح التعريب "استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم، واستخدامها في التعليم بجميع مراحلها، والبحث العلمي بمختلف فروعه وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة" (أحمد السيد، ص239).

يُعد التعريب من أكبر التحديات التي واجهت المنظومة الجزائرية منذ الاستقلال، فبالرغم من القرارات الرسمية¹، وأصوات المثقفين، إلا أن التعريب لم يتم، ولعل عبارة الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين التي جاء فيها: "إنّ كسب قضية التعريب هو كسب للشخصية الجزائرية العربية، وهزيمة نهائية لكل المخطط الإمبريالي الفرنسي الذي كان يهدف إلى مسح شخصيتنا الوطنية عن طريق تحطيم لغتنا ليتمكن من السيطرة إلى الأبد على بلادنا بمواردها وإمكاناتها" (نازلي، 1986، ص101) تمثل صدق النية، ولكن وفي ظل الواقع اللغوي الذي تحدثنا عنه سابقا، لم يكن من السهل على أصحاب القرار في الجزائر أن يتخذوا قرارا حاسما وملزما في مجال تعريب مختلف المجالات الحوية خاصة التعليم والإدارة، وعلى الرغم من الجهود المبذولة إلا أن الحاجة مازالت ماسة لاتخاذ قرارات جادة يمكن أن تحقق الأمل المطلوب.

¹ - ومن آخر القرارات الجريئة في مجال تعريب الإدارة، قرار وزارة البريد والمواصلات الجزائرية برئاسة الوزيرة هدى إيمان فرعون بتعريب جميع الوثائق والمعاملات.

ولا يخفى علينا -كما هو في كل منطقة عربية- وجود أصوات جزائرية معارضة للتعريب لسبب أو لآخر، لكن مع ذلك فالتوجه للتعريب قائم وسيبقى التعريب في الجزائر مطلبا حضاريا وثقافيا وقوميا.

تعريب التعليم، حجج وردود:

عند الحديث عن تعريب العلوم ترتفع أصوات تعارض وتتهجم، وتزعم أن لمعارضتها أسبابا وجيهة تكمن في:

- اللغة العربية لغة قديمة متخلفة، لا تعدو أن تكون لغة أدب جاهلي وشعر غنائي، واللغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية) قطعت أشواطا كبيرة في مجال التقدم العلمي، فهي بذلك لغات متطورة.

نقول إن " أي ربط للغة -أي لغة- بالتخلف شيء لا معنى له علميا، وإن ما يردده بعضهم... حول طبيعة اللغة العربية، وأنها لغة أدبية، ولغة شعر غنائي، وأنها غير قادرة على استيعاب العلوم الدقيقة، لا يعدو أن يكون أمرا من أمرين: إما جهل قبيح بتاريخ هذه الأمة وما أنتج فيها وما أبدع من أنواع العلوم الطبيعية والرياضية والطبية... وإما هو عدوان صريح على هذه الثقافة الإنسانية، التي تملك تراثا لم يكد يتاح للغة غيرها"(صابر، ص 99) .

- اللغة العربية صعبة في نحوها وصرفها، ويضربون لنا مثلا عن العدد والمعدود، محتجين بأن المتخصصين في العربية يجدون صعوبة في تطبيق قاعدة العدد ومعدوده (من حيث التذكير والتأنيث والحركات الإعرابية..)، فكيف بغير المتخصصين حين يقعون مرارا في التعامل بالأعداد. إضافة إلى الحركات الإعرابية التي يصعب التعامل معها خاصة أننا لا نتكلم اللغة العربية الفصحى سليقة، فهي بمثابة لغة ثانية.

ويكون الرد بأن القاعدة التي تهجر يصعب تطبيقها، فعندما تدرس العربية وفق معايير وأسس علمية، ويعطى لها من الاهتمام ما يكفل تحصيلها تحصيلًا صحيحًا ستزول كل هذه الحجج. ولنا في

شعوب أخرى كالصين واليابان أكبر مثال، فمهما صعبت اللغة العربية فهذه اللغات أصعب في تركيبها وحروفها، ولكن إرادة أصحابها وإيمانهم بها تخطت كل العوائق.

- التسارع الهائل في البحث العلمي العالمي، في حين مازالت البحوث العلمية العربية تراوح مكانها متخبطة في إشكالات المصطلح، بين التعدد والغربة، والفقدان.

وهذه في الحقيقة ماهي إلا مبررات للهروب من حمل عبء العمل على الإبداع والبقاء تحت عباءة التقليد والاجترار، ولا بد للوصول إلى الركب من انطلاقة أولى وتحد وعزيمة.

التدريس الجامعي في الجزائر:

نالت الجزائر استقلالها بعد ثورة مجيدة، ووجد الجزائريون أنفسهم أمام مسؤوليات كبيرة، فالبلاد تحتاج إلى تسيير وتأطير، وتحتاج بدرجة كبيرة إلى أساتذة في أطوار التعليم المختلفة، "ففي السنة الأولى للاستقلال رحل أكثر من 18 ألف مدرس فرنسي دفعة واحدة من البلاد. وكانت لحظة عصبية في حياة الدولة الجديدة، وبادرت السلطات الجزائرية إلى محاولة استعادة الأساتذة والمدرسين الجزائريين الموجودين في الخارج" (نازي، 1986، ص 101-102) وكان معظم هؤلاء الأساتذة ممن تلقوا تكوينهم في فرنسا، وكانوا عموما لا يحسنون اللغة العربية، كما استعانت بالأساتذة العرب (من مصر وسوريا خاصة).

ومع ذلك فإن جهودا كبيرة بُذلت في مجال تعريب التعليم الجامعي، وتم تحقق ذلك بدرجة كبيرة في التخصصات الإنسانية والاجتماعية، وعلوم الاتصال، أما التخصصات العلمية فما زالت اللغة الفرنسية مهيمنة على معظمها، مع توجه إلى توظيف اللغة الإنجليزية في الفترات الأخيرة.

-الرياضيات:

تعريف الرياضيات: الرياضيات "علم الدراسة المنطقية لكم الأشياء وكيفها وترابطها، كما أنه علم الدراسة المجردة البحتة التسلسلية للقضايا والأنظمة الرياضية. وهي واحدة من أكثر أقسام

المعرفة الإنسانية فائدة وإثارة" (مجموعة من المؤلفين، 1999، ص445) ، "ويمكن النظر إلى الرياضيات على أنها طريقة تفكير تتضمن عمليات عقلية تمتاز بعمقها وتأثيرها على النحو الآتي:

-التجريد: وينظم بها العقل المفاهيم والمعاني الكلية العامة من الجزئيات.

-التصور: وتعني حضور صورة الشيء في الذهن.

-التحليل والتعميم: وهي دراسة العناصر الجزئية للشيء بقصد إدراكه، إدراك صفات المحسوس

كالوزن والحجم، والشكل ... " (عبد الأمير وكرو، 2014، ص16)

الرياضيات في التراث العربي:

لقد كان العقل الرياضي حاضرا في التراث العربي، فقد عُرف عن الخليل ابن أحمد الفراهيدي بعقله الرياضي المتميز الذي أبدع معجم العين وفق نظام التقليبات الكلي لحروف اللغة، وإخضاعها لنظام المستعمل والمهمل، كما أن علماء الفقه كانوا في تعامل دائم مع الحساب في مجال المواريث، وفي الكثير من الأحكام المتعلقة بها.

كما أن اللغة العربية قد استطاعت أن تستوعب العلوم وتنتج مصطلحات عالمية في مجالات المعرفة المختلفة، حيث "وضع الخوارزمي كتابين هامين في الرياضيات، حمل الأول منهما حساب الجبر والمقابلة لتصبح كلمة الجبر كلمة عالمية، والكتاب الثاني في علم المحاسبة شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة وحساب الكسور. وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية، واستعاض الأوربيون بالأرقام الرومانية المعقدة الأرقام العربية البسيطة، والصفريعد من الاكتشافات المهمة التي أشار إليها الخوارزمي" (أحمد السيد، ص247). وقد كان الخوارزمي عمليا في تأليفه لكتاب الجبر والمقابلة، يقول: "ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرضين وكري الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه" (الخوارزمي، 1937، ص16) كما تذكر المصادر العديد من الأسماء العربية الرياضية البارزة.

لغة الرياضيات: الرياضيات علم بالغ التجريد، تعتمد على الرموز والأرقام والمنحنيات... لكن تبقى اللغة الإنسانية سبيلا للوصول إلى تحليلها، وتبنى لغة الرياضيات أساسا من:

1-الأرقام: الأرقام في الأصل هي رموز تدل على كميات مجردة، والملاحظ أن استعمال الأرقام يختلف بين المشرق العربي والمغرب العربي فالأرقام المشرقية هي: (٠ - ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩) والأرقام المغربية أو الغبارية هي: (0 - 1 - 2 - 3 - 4 - 5 - 6 - 7 - 8 - 9)، وبرجعنا إلى جملة من المصادر (سعيدان، 2005) أخذنا بالرأي القائل بأن كلا النظامين أخذه علماء العربية الأفذاذ عن النظام الهندي وطوّروه، أما الغرب فقد وصلتهم الأرقام المغربية بصورتها الأولى عن طريق الأندلس، وأطلقوا عليها تسمية الأرقام العربية وأضافوا لها بعض التعديلات، أما الأرقام المشرقية فهي لصيقة بالتراث العربي، وما نود الإشارة إليه في هذا الإطار أنّ القضية لا تحتاج إلى صراع حول أحقية العربية بنظام دون الآخر، بقدر ما هي قضية بيان إبداع علماء العربية في مجال الرياضيات، ونحن في العالم العربي بحاجة إلى ما يوحد رؤانا بالدرجة الأولى.

2-الرموز: الرمز هو إشارة لمُدلول معين، ويُتفق على استعمالها عند أهل اختصاص معرفي معين، وتنوع الرموز الرياضية، فمنها:

أ-رموز باللغة التجريد: وهي الرموز التي يتفق عليها عالميا، لا تنتهي إلى لغة بعينها، مثل:

رموز العمليات الحسابية (= يساوي، + زائد، - ناقص...)

رموز دالة على علاقات رياضية: الاحتواء $\supset$ ، والانتماء $\ni$ والتقاطع $\cap$ ، والاتحاد $\cup$... (مع أن لبعض هذه الرموز اتجاه يتغير إذا بدأنا الكتابة من اليسار)

ب-رموز لاتينية: اتفق على استعمالها عالميا، مثل Π وهي قيمة تستعمل في حساب الدوائر تقدر

ب (3.14).

ج-رموز مختصرة لمصطلحات رياضية معيّنة (مختصرات): وهنا يظهر استخدام اللغة، وهذه الرموز قد تكون للدلالة على مجاهيل في معادلات رياضية (س x، أو ع y)، أو رموز لتسمية أشكال هندسية (أ ب ج أو abc). أو مختصرات كالتي نسجلها في الجدول الآتي على سبيل المثال:

المصطلح	مقابله الفرنسي	الرمز المستعمل في التعريب الكلي	الرمز المستعمل في التعريب الكلي
الدائرة	Cercle	د	C
العدد الطبيعي	nombres naturels	ط	N
جيب الزاوية	Sinus	جب	Sin
جيب تمام الزاوية	Le cosinus	تجب	Cos
القاسم المشترك الأكبر	Le plus grand commun diviseur	ق م أ	Pgcd
الدالة	Fonction	تا (س)	F (x)
نهاية (الدالة)	Limite	نها تا (س)	Lim f(x)

-اللغة الواصفة: لا يحتاج الرياضي إلى كلام كثير لإيصال الأفكار والمفاهيم، فكلما يحتاجه من اللغة ربطاً، أو شرحاً أو تحليل، ويكون ذلك بجمل قصيرة، مباشرة، فالعبارة الرياضية تعبر بذاتها عن محتواها المفاهيمي.

وهذا فإننا نلاحظ أن لغة الرياضيات في معظمها لغة مشتركة بين كل اللغات، لهذا فإن تعريبها يكون أسهل مما هو في تخصصات أخرى، ففي قسم الكيمياء مثلاً عبّر لنا بعض الطلبة عن عجزهم في كثير من الأحيان عن إيجاد المقابل العربي لبعض الأجهزة والأدوات ما يضطر بعضهم إلى الاستعانة برسم للأداة في سياق الكلام.

تعريب الرياضيات: عند الحديث عن تعريب الرياضيات يجب أن نميّز بين نوعين من التعريب:

التعريب الجزئي: حيث يعتمد أصحابه على الإبقاء على المختصرات ورموز المجاهيل باللغة الأجنبية، كذا اعتماد الاتجاه من اليسار إلى اليمين في الكتابة العلمية، والاكتفاء بتعريب لغة الربط

والشرح والتحليل، وهو ما ذهب إليه مقدم معجم الرياضيات الدكتور عطية عبد السلام عاشور؛ إذ يقول: "وقد دأبت بلاد كثيرة من التي لا تستخدم اللغات الأوروبية، مثل اليابان والصين، على كتابة المعادلات والجمل الرياضية كما هي في اللغات الأوروبية، حتى لو جاءت هذه المعادلات في سياق الكلام، وربما يكون الأفضل مستقبلا أن نسير سيرهم في هذا الأمر" (مجمع اللغة العربية، 1995، ص "ب").

التعريب الكلي: وذلك بأن توظّف اللغة العربية -وهي قادرة على ذلك- في كل جزئيات المادة العلمية، وتجنب استعمال اللغة الأجنبية إلا ما اقتضت إليه الحاجة، وهذا هو المطلوب الذي ينبغي أن نسعى إلى تحقيقه، "فإنّ القضية الكبرى التي يجب أن نضعها أمام أعيننا في مجامعنا اللغوية العتيدة، تتركز حول جعل لغتنا العربية لغة العلم والحضارة، لكي نستطيع أن نصل إلى درجة الإبداع والمشاركة في بناء الحضارة الجديدة... وإنّ فرض لغة أجنبية على التدريس الجامعي، جزئيا أو كليا في الوطن العربي، يعني، في منطق الأشياء ونواميس الطبيعة، أن تبقى أمتنا تبعا للأجنبي، بعيدة عن كل مشاركة علمية أصيلة..." (خليفة، ص 82)

3- قسم الرياضيات في الجامعة عيّنة الدراسة (جامعة ورقلة، الجزائر):

ينتمي قسم الرياضيات إلى كلية الرياضيات وعلوم المادة، "وهي وحدة تعليم وبحث في الجامعة في ميدان العلم والمعرفة، وتشكل من أقسام وتحتوي على مكتبة، وتضمن على الخصوص ما يأتي:

التكوين في التدرج وما بعد التدرج- نشاطات البحث العلمي- نشاطات التكوين المتواصل وتحسين المستوى وتجديد المعارف. وقد أنشئ القسم سنة 2013م، بالمرسوم التنفيذي رقم 100/13 مؤرخ في 2013/03/14م مُعدّل ومتمم، ووفق القرار رقم 947 المؤرخ في 2013/12/05م.

بلغ عدد الأساتذة الدائمين في الموسم الجامعي 2016/2017: 25 أستاذا إضافة إلى 3 أساتذة مؤقتين. وبلغ عدد الطلبة 306 طالبا في مختلف المراحل والتخصصات. كما تحتوي مكتبة الكلية على 9236 عنوانا، 1668 عنوانا منها باللغة العربية والباقي باللغة الأجنبية (جامعة ورقلة، 12 جوان 2017، <https://www.univ-ouargla.dz>).

واقع اللغة العربية في القسم:

لغة التدريس: عند اتصالنا بأساتذة قسم الرياضيات وقفنا على ثلاثة مواقف للأساتذة نذكرها

كالآتي:

موقف يرفض استعمال العربية لغة للتدريس: وهذا الرفض مبرر بالنسبة لهؤلاء الأساتذة، فاللغة العربية مازالت بعيدة عن التقدم العلمي والتكنولوجي، والغرب قد قطع اشواطاً كبيرة في المجال العلمي والتكنولوجي، والمستجدات العلمية في التخصص تتزايد باستمرار، فأني لنا أن نترجم هذا الكم الهائل من المعارف، وما التعريب في التخصصات العلمية إلا مضيعة للجهد والوقت.

موقف يحاول أن يوظف العربية ولكن باحتشام: يتحدث بعض الأساتذة عن شعورهم بضرورة النهوض باللغة العربية ولن يكون ذلك إلا إذا تم توظيفها لغة للعلم والتكنولوجيا، ولكنهم مع ذلك يجدون صعوبات جمة تحول دون تمثّل هذا الشعور حقيقة وواقعاً، فالأستاذ حينما يريد أن يعدّ محاضراته باللغة العربية فإنه يبذل جهداً مضاعفاً في الترجمة والاصطلاح، وقد يشعر في أحيان كثيرة أن ترجمته لم ترق إلى المستوى العلمي المطلوب، فتراه يحاول مرة ويتراجع مرّات عدّة، كما أنه قد يلجأ إلى شرح المحاضرة شفويّاً باللغة العربية (أو حتى العامية)، ولكن توثيقها يكون باللغة الفرنسية.

موقف يناضل من أجل أن تكون العربية لغة للتدريس: هذا الموقف يتبناه بعض الأساتذة، وفي نقاشنا مع أستاذ قدير من القسم، حول دوافع تبنيه التدريس باللغة العربية رغم الصعوبات لخص لنا دوافعه فيما يلي:

-الدافع الأول: هو واجب نحو لغتنا التي نعتز بها ونفخر بانتمائنا لها، فهي جزء من هويتنا، والفرد الذي لا انتماء له لا يمكن أن يصنع مستقبله.

الدافع الثاني: التعامل مع الطالب باللغة التي يفهمها ويتعامل بها أيسر، واستيعابه للمادة العلمية يكون أفضل، ففي حال تدريسه باللغة الأجنبية، سيبذل جهداً مضاعفاً، في فهم اللغة أولاً، مع العلم أن مستوى الطلاب عموماً متدنٍ في اللغة الأجنبية، ثم في فهم المفاهيم العلمية الرياضية.

الدافع الثالث: إثبات أن اللغة العربية قادرة وبشكل جيد على منافسة اللغات الأخرى في العلوم والتكنولوجيا. وإزالة تلك النظرة الدونية للغة العربية لدى العلميين (أساتذة وطلبة).

لغة الرسائل العلمية:

تنص المادة 44 من المرسوم التنفيذي 254-98 المؤرخ في 17 أوت 1998م على أن كتابة الرسائل الجامعية يجب أن يكون باللغة الوطنية، ويمكن للضرورة استعمال لغة أخرى غير اللغة الوطنية، وجاء نص المادة كالآتي: "يجب أن تحرّر وثيقة المذكرة باللغة العربية. كما يمكن تحريرها بلغة أخرى في حالة ما إذا منح مدير المؤسسة ترخيصا صريحا بذلك، بعد إلقاء المجلس العلمي للهيئة الجامعية المعنية أو المجلس العلمي أو البيداغوجي للمؤسسة المؤهلة برأي معلل" (الجمهورية الجزائرية، 19 أوت 1989)، غير أن الواقع غير ذلك، فمعظم الرسائل الجامعية في مرحلة الماستر تقدّم باللغة الفرنسية، كما أن هناك توجه نحو الكتابة باللغة الإنجليزية لدى العديد من الطلبة، في حين أنّ كتابة أطروحات الدكتوراه باللغة العربية مازال مطلبا عزيزا.

فالتألم والأساذ المشرف حين يتبنى كتابة الرسالة باللغة العربية سيواجه مصاعب جمة، وهو بذلك سيقف أمام تحدٍ كبير.. ومع ذلك فإنّ بعض الطلبة رغم الصعوبات يتوجهون إلى إعداد مذكرات التخرج باللغة العربية (ويعود هذا لعاملين؛ الأول أن يرى الطالب نفسه غير متمكن من اللغة الأجنبية فيصعب عليه تحمل المناقشة بهذه اللغة حتى وإن تيسر له الكتابة بها، والثاني هو تحفيز بعض الأساتذة لطلابهم وإشعارهم بالواجب نحو اللغة العربية)، والجدول الآتي يبين لنا نسبة حضور اللغة العربية في مذكرات الماستر للموسم الجامعي 2016م/2017م:

التخصص	العدد الإجمالي للمذكرات	عدد المذكرات باللغة العربية	النسبة
جبر وهندسة	11	00	00%
نمذجة وتحليل عددي	24	05	20,83%
تحليل	17	05	29,41%
إحصاء واحتمالات	21	02	9,52%

وعلى الرغم من النسب القليلة للمذكرات المنجزة باللغة العربية، فإن هذا التوجه الجديد في القسم، يشكل بوادر إيجابية لتفعيل استعمال اللغة العربية، فهذه المحاولات ستشكل مرتكزا يبني عليه الطلبة مستقبلا بحوث جديدة، لتتشكل مدونة مصطلحية في التخصص.

الصعوبات والعوائق:

- لعل من أهم العوائق التي تواجه الأساتذة والطلبة على حد سواء إشكالية المصطلح العلمي الدقيق؛ وهي إشكالية عويصة، تواجه التخصصات العلمية جميعها، بل وحتى الأدبية في حقول كثيرة، وقلة المعاجم المتخصصة ذات الجودة العلمية. "ولكن أي مصطلحات توحيد إذا لم تدخل الألفاظ المقترحة مجال الاستعمال؟ وأتى يجري التوحيد إذا لم يتناد العلماء لتبادل الرأي في الألفاظ العلمية التي العربية التي استعملوها في تدريساتهم وفيما ينشرونه في بحوثهم وكتبهم المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها" (الملائكة، 1986، ص32).

-إشكالية المصادر والمراجع العربية، يميل الباحث عادة إلى اختيار الحقل الغني بالمصادر والمراجع، ذلك لما له من قيمة على نوعية البحث، ويسر في العمل، ومن أساسيات توفر المصادر تفعيل دور الترجمة، إضافة إلى تحفيز الأساتذة على التأليف باللغة العربية من قبل الهيئات والمجامع اللغوية. ويشيد الأساتذة هنا بدور المدرسة العليا للأساتذة بالقبة (الجزائر) وجهود أساتذتها في مجال الترجمة، ومن الأسماء البارزة في هذا المجال، الدكتور أبو بكر خالد سعد الله الذي ساهم في ترجمة العديد من المؤلفات الرياضية من الفرنسية إلى العربية.

-الكتابة بالحاسوب، فالتعريب الذي نتحدث عنه في هذه المرحلة هو تعريب جزئي، وبالتالي فإن كتابة البحث ستنبني على نمطين؛ الكتابة العلمية الرياضية التي ستكون برموز أجنبية من اليسار إلى اليمين، وكتابة الشرح والتحليل التي تكون عربية كليا، هذا الأمر يوقع الطالب في نوع من العناء والمشقة، إذ يضطر إلى تغيير اللغة والاتجاه مرات كثيرة. كما أن هناك برنامجا حاسوبيا خاصا بالمذكرات الرياضية يقوم بضبط العبارات العلمية، وتنسيق الكتابة، لكن هذا البرنامج باللغة الأجنبية فقط.

إنعكاسات تغييب اللغة العربية في التعليم الجامعي:

خطورة المشكلة: ليست قضية تعريب التعليم الجامعي العلمي والتقني قضية خاصة بقطر عربي دون آخر، إذ إنّ "تعليم العلوم والتكنولوجيا في الجامعات بلغة أجنبية هو سلوك سلبي جدا، لأنه إقصاء حقيقي وتهميش للغة الوطنية عما هو حيوي واستراتيجي، ومنعها بالتالي من أي إثراء وأي ترقية، وما هو أخطر من ذلك هو الاندماج التام في ثقافة أخرى بدون مقابل" (الحاج صالح، 2019، 278).

ومن الآثار السلبية كذلك الانفصام بين التعليم الجامعي والمستويات التعليمية الدنيا (الثانوي والمتوسط والابتدائي)، ففي الجزائر في مرحلة مضت (مرحلة المدرسة الأساسية)، كان التوجه نحو التعريب الكلي للعلوم، فمادة الرياضيات كانت تدرس منذ المرحلة الابتدائية وحتى المرحلة الثانوية باللغة العربية كليا، فالرموز والمختصرات والمعادلات كلها كانت عربية.

فالتلميذ بعد اجتيازه للأطوار التعليمية الثلاثة (الابتدائي والمتوسط والثانوي) يلتحق بالجامعة التي مازالت بعيدة عن التعريب، فهو إن لم يتعود على الرموز والمصطلحات الفرنسية سيصطدم بالواقع مما سينعكس سلبا على تحصيله العلمي. وبهذا أعيدت كتابة المقررات الدراسية في المنظومة التربوية الجديدة (المدرسة الابتدائية الجديدة)، بالعودة إلى استعمال الرموز والمختصرات الفرنسية، وكتابة العبارات العلمية والمعادلات الرياضية عكس اتجاه الكتابة العربية.

لكن الحل في الحقيقة من المفترض أن يكون بالسعي لتعميم التعريب للمستوى الجامعي وليس العكس، إضافة إلى أن تحسين مستوى التلاميذ في اللغة الأجنبية وتخصيص حصص للمصطلحات العلمية ومقابلاتها الأجنبية كان من شأنه أن يقدم حلا أيسرا.

إنّ هذا التوجه الجديد الذي يرى فيه أصحابه أنه تهيئة للتلاميذ في المراحل الدراسية الأولى من أجل الالتحاق بالجامعة والتعامل مع الواقع اللغوي الموجود، كان له أثر على التلاميذ من عدة نواح، أهمها:

- تجعل التلميذ يشعر بأن اللغة العربية عاجزة عن التعبير العلمي، فهو حين يستعمل الرموز الفرنسية في أبسط استعمال علمي يعتقد أن اللغة العربية لا يمكن أن تستعمل في الاصطلاح العلمي فتتولد لديه نظرة دونية للغته فيتدنى بذلك اهتمامه في تحصيلها.

- تقلل من التحصيل العلمي لدى الكثير من التلاميذ، ذلك لأن الرمز يرتبط ذهنيا بالمفهوم، وكلما كان الرمز قريبا من مفهومه كلما تيسر استحضاره، لكنه في الكثير من الأحيان يجهل المصطلح الفرنسي الذي اشتق الرمز منه، فيقع في تشويش ذهني.

الخاتمة:

إن الباحث وهو يكتب عن اللغة العربية في واقع صعب كالذي تعيشه اليوم ليجد نفسه قد قصّر في تقديم الجديد، ومع ذلك هي دعوة تضاف إلى دعوات كثيرة تهدف إلى شد العزيمة وتقوية الهمة لإعادة أمجاد لغتنا العربية، ويمكن أن نجمل الحديث عن أهم الحاجات الراهنة للمضي نحو تعريب للتخصصات العلمية في الجامعات الجزائرية، والجامعات العربية عامة، في العناصر الآتية:

-إعادة مكانة اللغة العربية وتقوية تحصيلها بدء بالمستويات التعليمية الأولى، وغرس الشعور بالانتماء نحوها، وتعزيز الواجب نحو تعلمها.

- تقوية تحصيل الطلبة للغات الأجنبية، وذلك للانفتاح على العالم، والتعامل مع المستجدات العلمية في مختلف التخصصات، والتحكم في المفاهيم والاصطلاح.

-العمل على ترقية تصنيف المجالات العلمية التي تنشر باللغة العربية عالميا، من أجل تحفيز الباحثين على الكتابة باللغة العربية.

-التعاون والشراكة بين أقسام اللغة العربية ومختلف التخصصات العلمية في الجامعة الواحدة، من أجل معرفة حاجيات كل تخصص والبحث العملي الجاد على تلبية هذه الحاجيات، وعدم الاكتفاء بالبحوث النظرية والمكتبية.

-فتح وحدات بحث في الجامعات، تُعنى بالعمل على تكامل التخصصات، وإيجاد الحلول لإشكالات كل تخصص في مجال التعريب.

-تفعيل دور المجامع اللغوية والمؤسسات ذات الطابع العلمي في القطر الواحد، وفي مختلف الأقطار العربية من أجل التنسيق في مجال توحيد المصطلحات العلمية ، والعمل على أن تكون ها ملزمة بنصوص قانونية، يعاقب من يخالفها.

-الاستفادة من التجارب السابقة والناجحة في مجال تعريب العلوم، مثل تجربة سوريا، والأردن، كما يمكن أيضا الاطلاع على تجارب دول غير عربية حافظت على لغتها وطورتها.

-استثمار التراث العربي في البحث عن المصطلحات الجديدة، والانفتاح -في حالة الضرورة القصوى- على التعريب اللفظي لبعض المصطلحات، فالعربية ليست منغلقة على نفسها، وبها من الإمكانيات الصوتية والصرفية ما تستوعب به الكثير. واستغلال العمليات البنائية الداخلية للغة العربية، من اشتقاق ونحت وتركيب ...

- ترقية المعاجم العلمية المتخصصة وفق أساسيات علمية وتقنيات حديثة (معاجم إلكترونية، وبنوك مصطلحات..)، لتيسير العمل بها.

-العمل على تطوير برامج حاسوبية تخدم اللغة العربية وتيسر كتابة البحوث العلمية وفق جودة عالية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

5. قائمة المراجع:

- سعيدان، أحمد سعيد. (2005). الأعداد وعلم الحساب. ط2. مركز دراسات الوحدة العربية. موسوعة تاريخ العلوم العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان.

- ألاًرا، أندريه. (2005). تأثير الرياضيات العربية في الغرب في القرون الوسطى. ط2. موسوعة تاريخ العلوم العربية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان.
- ناجي، عباس عبد الأمير و كرو، رحيم يونس. (2014). تعليم الرياضيات: مفاهيم- استراتيجيات- تطبيقات. ط1. دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- خليفة، عبد الكريم. اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث. دار الفرقان.
- الخوارزمي، محمد بن موسى. (1937) كتاب الجبر والمقابلة. مطبعة بول باربيه. مصر.
- صابر، محي الدين. من قضايا الثقافة العربية المعاصرة. ط2. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (1995). معجم الرياضيات.
- مجموعة مؤلفين. (1999). الموسوعة العربية العالمية. ط2. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الرياض.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (2004). المعجم الوسيط. ط4. مكتبة الشروق الدولية.
- ابن منظور. لسان العرب. (تحقيق، عبد الله علي الكبير). دار المعارف. بيروت. لبنان.
- نازلي، معوض أحمد. (1986). التعريب والقومية العربية في المغرب العربي. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان.
- الصحف والمجلات:**
- الجمهورية الجزائرية. (19 أوت 1989). "الجريدة الرسمية". (60).
- الملائكة، جميل. (1986). "الصعوبات المفتعلة على درب التعريب". مجلة اللسان العربي. مكتب تنسيق التعريب. الرباط. المغرب. (27). ص 32.
- الحاج صالح، عبد الرحمن. (2009). "قضايا التعريب في دول المغرب العربي الجزائر أنموذجا". مجلة اللسان العربي. (66).
- السيد، محمود أحمد. "إشكالية تعريب التعليم العالي". مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- المواقع:**

دور الإصلاح التربوي الإبراهيمي في حفظ مقومات وخصوصيات الأصول الجزائرية

The role of the Ibrahimi educational reform in preserving the constituents and characteristics of the Algerian origins

د. بلال لعفيون *

جامعة محمد الصديق بن يحيى (جيجل . الجزائر)

Dr.Bilal Lafioune

University of Mohamed Seddik Ben Yahia (Jijel -Algeria)

Bilalla18@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/15	تاريخ القبول: 2020/11/28	تاريخ استلام المقال: 2020/11/05
-------------------------	--------------------------	---------------------------------

ملخص

العودة إلى تاريخ الجزائر في الفترة الممتدة من بداية ق 19 إلى منتصف ق 20، تجعلنا نقف على المرحلة الحرجة للجزائر؛ حيث انعكس بوضوح مسعى الاحتلال الفرنسي العام في إزالة خصوصيات الأمة الجزائرية. وهو ما انجر عنه بروز نخبة من المثقفين الجزائريين عملوا على حماية الهوية من مخططات التهميش والتحريف التي تدبر لها فرنسا، للعلت على طمس اللغة، الدين، العادات، والمعتقدات، بل حتى التوجهات الثقافية. فكان "محمد البشير الإبراهيمي" في تلك الحقبة أبرز رجال الجزائر الذين جسّدوا لسياسة إصلاح تربوي تعليمي وفقاً للمقومات الجزائرية العربية الإسلامية. وذلك بإعادة إحياء وبث الأصول، المقومات، وخصوصيات الفرد والمجتمع الجزائري. وهو الأمر الذي سنكشف عنه في مقالنا هذا.

الكلمات / المفاتيح: الإصلاح؛ التربية؛ التعليم؛ الأصول؛ المقومات.

Abstract

Return to Algeria's history from the beginning to the middle of s 19 to mid 20 s, makes us stand at a critical juncture for Algeria, where clearly reflected an effort when working on removing the French occupation the Algerian nation khssoiat. Which is what Unger about the emergence of elite Algerian intellectuals worked on viruses identification schemes marginalization and distortions which set her France, which worked on the blur of

language, religion, customs, beliefs, and even cultural attitudes. It was Bashir Mohamed Brahimi "one of Algeria who they embody an educational reform policy tutorial according to Algerian Islamic Arabic elements. By reviving the broadcasting assets, competencies, individual privacy and Algerian society. Which we will disclose in this article.

Keywords: reform; education; education; assets; ingredients.

مقدمة

يُعدُّ الحديث عن الإصلاحات التربوية للعلامة "محمد البشير لإبراهيمي" بمثابة الحديث عن النبع الذي سقى المسار التحرري للجزائر؛ ذلك أنَّه انبثقت عليها جُلُّ الجهات المناهضة في سبيل سيادة الجزائر على أرضها ومقوماتها؛ فكلُّ من البُضال (السياسي، العسكري، العلمي،...) قام بفضل الإصلاح التربوي التعليلي ولو عدم الأول لانعدام الثاني؛ إذ يستحيل المطالبة بالحرية في حال ما إذا كانت الهوية والأصول مغيبّة، فتثبتُ الهوية حتى يُعلمَ أنَّ لهذا الشعب أسسًا وثوابتًا بعد ذلك يتيم السعي للحرية. ودراسة فلسفة "الإبراهيمي" الإصلاحية وسعيه لتجسيد مشروعه في إطار المقومات والأصول الجزائرية يدفعنا إلى ضرورة استحضار وتمثُّل الفترة التي تواجد فيها، والظروف والخصائص التي ميّزت زمانه وعصره وبلده، وهي الحقبة التي كان لها أثرٌ بالغٌ في نشأة هذا العلامة الفذِّ، فالإبراهيمي أكبر وأوسع من أن نحدِّد جهوده في محور واحد ممثلًا في الإصلاح التربوي؛ إذ له كذلك نشاطات وإصلاحات شملت ميادين أوسع منها السياسية والدينية، الاجتماعية، العلمية، (...) كما أنه تحركاته كان في الصعيدين الوطني المحلي، وكذا الخارجي العربي وغير العربي. وهذا حتى لا يُفهم من الدراسة أنَّها تُقدِّم وتُحصرُ وفق إصلاحات "الإبراهيمي" في حدود التربية.

إنَّ المضيُّ في هذا الموضوع "الإصلاح التربوي الإبراهيمي ومدى تماشيه مع خصوصيات ومقومات الأصول الجزائرية"؛ الذي قرَّنا فيه الإصلاح التربوي بالخصوصيات الجزائرية، يعكس بعدًا وقيمةً هامّين. فلو قيّمنا ودرسنا مثلًا إصلاحات "الإبراهيمي" بمعايير وحيثيات الفترة التي تمّت فيها، فإنَّ أقلَّ ما يُمكن القول في التعبير عنها أنَّها فترة غُيّبت فيها خصوصيات الأمة الجزائرية كُليا، مع سعيٍّ دؤوبٍ لمحاربتها وقمعها من طرف الإحتلال الفرنسي متى ما بدت بوادر تجلّيها.

فحريّ بنا حين ندرس الإخراج والبعث لخصوصيات الأمة الجزائرية في مشروع الإصلاح التربوي "الإبراهيمي" أن نقرنه دوماً بظروف هذه الفترة ممثلة في الإحتلال الفرنسي. خصوصاً إذا علمنا أنّ هذه الأصول كانت مُحارَبةً، يوم بُنيَ عليها المشروع الأساسي لهضبة الجزائر.

والإشكالية الحاملة لفكرة هذا الموضوع يمكن صياغتها وفق الطرح التالي:

"العلامة الإبراهيمي" أيعدُ المنشئ والباعث للإصلاح التربوي في المجتمع الجزائري من غير سابق إصلاحات، أم توجد إصلاحات سابقة اعتمد عليها في وضع مشروعه؟ وهل هذا الإصلاح الذي قام وسعى فيه وإليه "البشير الإبراهيمي" تأصيليٌّ مؤسّس ومحدّد لمقومات وركائز أمتّه، أم هو تنموي داخٍ للرقى والتّطور ومسيرة المستجدات فقط؟ أو هو جمعٌ بين الأمرين؟ وهل هذا الإصلاح وُضِعَ للفترة التي تواجد بها "العلامة البشير الإبراهيمي" وما تميّزت به ظروفها من احتلالٍ؟ أم فيه استشراف لفترة ما بعد الإستعمار وسبُل تجسيد وإتمام إصلاحاته فيها؟ كما أنّ هذا المشروع الإصلاحي، هل حصَّ به صاحبه الأمة الجزائرية وما تميّز به من أصولٍ ومقوماتٍ، أم ينطبقُ على بقية الأمم الأخرى؟ وهل كان "الإبراهيمي" وحده يمضي في إصلاحاته التربوية هذه، أم كانت جهوده منسّقة ذات طابع جماعي مُتعدّد الأطراف والمجالات والشّخصيات المحركة له؟ لأجل إعطاء فاعلية وتأثير أكبر لمشروعه.

وقبل التّفصيل في دراسة وتحليل جزئيات الموضوع نُبيّن المصطلحات والمحاور الرئيسة التي يركز وينبعث فيها البحث. فبالنّظر في العنوان: "الإصلاح التربوي الإبراهيمي ومدى تماشيه مع خصوصيات ومقومات الأصول الجزائرية" يتبيّن لنا ثلاث مفردات أساسية هي على التّوالي: (الإصلاح، التربية، الخصوصيات والمقومات الجزائرية). مع علاقة هذه النقاط الثلاثة بـ "العلامة البشير الإبراهيمي"، أو بالأحرى نختصرها في التّساؤل عن كيفية بثِّ "الإبراهيمي" لمشروع الإصلاح التربوي في إطار خصوصيات الأمة الجزائرية.

وقد اترسم مسار هذه الدراسة في ضوء هذه النّقَاطِ الثلاثة على النّحو التالي:

1. بيان المقصدية من التّربية، ما هي؟

2. توضيح الإصلاح، ما هو؟

3. ذكر خصوصيات ومقومات الأمة الجزائرية، التي مثلت ركائز ودعائم الإصلاح التربوي.

وبعد عرض هذه المحاور الثلاثة مفصلةً ومستقلةً، يتمُّ نقاشها في تركيبة فكرية في إطار الجمع الذي أحدثه "العلامة البشير الإبراهيمي" بينها في مشروعه الإصلاحي.

1. بدايةً مع مصطلح التربية. هل له معنى واحد معتمد، أم يخرج إلى أكثر من معنى؟ وما هو المعنى المراد في هذه الدراسة، والمقصود في إصلاحات "العلامة الإبراهيمي"؟.

مصطلح "التربية"، يترَكَّب من شِقَّين: الأوَّل منهما أخلاقي، والثاني تعليمي؛ فلَمَّا نقول التربية يكون القصد منها إمَّا تربية أخلاقية. كما تعني التربية كذلك التربية العلمية أو التعليمية التي هي تلقينُ المعارف والأفكار. والشَّائع المعتمد أنَّ التربية تجمع بين التربية الأخلاقية والتكوين العلمي، كما هو معتمد في هذا القطاع "التربية والتعليم" إشارةً لمراحل التعليم ما قبل الجامعي؛ التي يكون فيها التكوين علميًا وأخلاقيًا، وهو المعنى المراد في هذه الدراسة والمذكور في ديباجة الملتقى.

2. أمَّا مصطلح "الإصلاح" فالمعنى العام له هو: «إعادة التشكيل (re-form) أي أن يشكل من جديد، ولهذا فهو يمكن أن يُفهمَ بمعنيين مختلفين: تعديل حالة مغلوطة للأشياء، أو تحويلها نحو الأحسن، والعودة بشيء ما نحو وضعه الأصلي» (بينيت، 2010، ص 84) ولمَّا نذكر كلمة الإصلاح يُفهم أنَّ هذا الأمر المراد إصلاحه موجودٌ مسبقًا قبل اشتغالنا عليه، فنحن لسنا بصدد وضع شيء جديد وإخراجه للوجود، بل تقويم وتعديل وإضافة فقط. ومن هنا كذلك يبرز لنا احتمالين لمعنى الكلمة هما:

1.2. إمَّا أنَّ هذه القضية أو المشروع التربوي، وُضع ناقصًا في بعض جوانبه تتخلَّله هفوات وفجوات دفعت إلى ضرورة الإشتغال عليها لأجل إخراج صورة جديدة، وبعث المشروع في نظامٍ أكثر إحكامًا واستعابًا للقضايا التي ينبغي تضمُّنها.

2.2. أو أنَّ المشروع وُضع في تصورٍ محكمٍ مضبوط، وكانت هناك أيادي عملت على تحريفه مع ظروف ساهمت في تغيير مساره. أو كان هناك إضطراب في تطبيقه ناتج عن زلات وغلطات، أدَّت كلها أو بعضها إلى العدول عن المسار المسطَّر للمشروع.

من هنا نتساءل كيف نُموِّق إصلاحات "العلامة". هل هي إصلاحات لمشروع تربوي سطره سابقوه غير متكامل البناء، فأراد الإسهام فيه بعرض أفكار وإقتراح رؤى تزيد هذا المسار الإصلاحي ضبطاً وتماسكاً؟ أم أنّ إصلاحاته كانت مستمرةً مسائرةً لمسار المشروع الإصلاحي، تحدّد الأسس وتوجه وتنير دروب المشتغلين على الإصلاح من جهة. كما تسعى كذلك للرّد وإبعاد مكائد التّضليل التي تعترضه من جهة ثانية؛ لأجل شحن حركة الإصلاح بنفَسٍ جديدٍ، وإخراج مشروع إصلاحي في إطار أفضل ممّا هي عليه حركة الإصلاح في زمانه؟.

إنّ الرّد على هذا التّساؤل ليس إختيارياً بترجيح رأي وإغفال آخر، وإنّما جامع للإحتمالين؛ ذلك أنّه بالنّظر في مشروع العلامة "البشير الإبراهيمي" وتعبه زمنًا، نجد أنّ المشروع تمّ في سيرورة بمجموعة متتالية من الإصلاحات، لأجل إحداث صيرورة تُحوّل وتغيّر الأوضاع لأجل إحداث نقلة نوعية، وبيان ذلك على النّحو التّالي:

كون بداية المشروع الإصلاحي للعلامة الإبراهيمي وسعيه في الإصلاح التربوي والتعليمي بدأت تتجسد على أرض الواقع يوم كان بأرض البقاع المقدسة خصوصاً في النقاشات والتدابير التي أجراها و"ابن باديس" سنة 1913م، وهذا ما يؤكده بلسانه عندما يقول: «وأشهد الله أن تلك الليالي من سنة 1913 ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931». (الإبراهيمي، 1997، ص 278) وإلى هذه الفترة نجد هناك مشتغلين بالإصلاح التربوي، وبالتالي تُسجّل انطلاقاً من هذا أنّه يوجد من كان لهم فضل السّبق على "الإبراهيمي" في التربية. لكن بداية الإهتمامات التّربوية كان يَتَمّ في إطار خُطب وكتابات الوعظ والإرشاد مع بعض الكتابات في المجال، من طرف مشائخ زوايا أو مدارس قرآنية. وهذا لا يمثّل مشروعاً تربوياً بقدر ما هو إرشادات وتوجيهات؛ والإصلاح لهذا الوضع أو الطريقة المعتمدة في الإرشاد التّربوي الجزائري تمّ بأن اشتغل على وضع أسسٍ وتحديد مبادئ وركائز يقوم عليها أمر الإصلاح؛ أي إصلاح مُمنهج ببرنامج وتخطيط لمساره على المدى البعيد.

- الرأي الثاني ممثلاً في كون إصلاحات العلامة كانت بانيّةً لحركة مشروع الإصلاح التربوي الجزائري ومستمرة مع مساره بالتوجيه والتّسديد للمشروع لكون "الإبراهيمي" المحرك الدّافع لمسار

المشروع قُدِّمًا؛ إذ طرح ويحدد مناهج وأسس لضبطه من جهة. وكذا يدفَعُ ويُبعد مُبطلًا المساعي الطاعنة والمعرقلة لمسار هذا الإصلاح، هذا الدَّودُ والحرص على تخليص مسار المشروع من العراقيل المختلقة له، يتأكد لنا لما نعلم أن هذا المشروع التربوي تمَّ في ظل وجود سياسة إستعمارية قامعة، ومثَّلَ واجهةً مضادةً لكُلِّ المخططات والمشاريع التي تقف وراء إنارة درب وأفق المجتمع الجزائري. فالمُحتَلُّ لا يريد أن تُنار حياه هذا الشعب ولا أن يبصر الأفق إلى مدى بعيد، يستشرف معه معالمه ويزداد وَغْيُهُ بحقوقه، وكامل مساعيه في أن يتحكم في حريات هذا الشعب السياسية والعلمية، والنضيق قدر الإمكان على فكره، ولا أدلَّ على ذلك من كثرة سلسلة الإعتقالات التي تطال كل من تبى مشاريع إصلاحية أو سعى في سبيل حرية وكرامة وسيادة هذا الشعب على أرض ومقوماته. وهذا ما يصوره "الإبراهيمي" حين يقول: «لم نشك لحظة منذ وضعنا قدمنا في طريق الإصلاح .. ورفعنا الصوت بالدعوة إليه في أن الله سيدلُّ للحق من الباطل وأنه يبتلي أوليائه بالأذى والمحنة ليمحصهم .. ولم نزل على يقين تتجدد شواهدنا أنَّ في المصائب التي تصيبنا في سبيل الإصلاح شحذا لهممنا وإرهافا لعزائمنا؛ وثباتا لأقدامنا، والفاتا للغافلين عنا إلى موقعنا من الأمة وموقفنا من الأمة وموقفنا من أعدائنا» (جمعية العلماء المسلمين، 1936، ص 02)

وإن أهم ما سعى الإحتلال الفرنسي لتمكينه في أرض الجزائر وعقول سكانها، نقاط ثلاثة رئيسة جامعة لعدد القضايا تحتها وهي:

- اعتماد اللسان واللغة الفرنسية في الحياة اليومية وفي التَّعليم وتسيير شؤون البلاد؛ وهذا حتى يتمَّ كلُّ شيء حاملاً بُعْداً خاصاً بفرنسا لا الجزائر. فلسان الحال الفرنسي خاص بفرنسا لا بالأمة الجزائرية.
- نشر المسيحية والسعي لتنصير كلِّ من يستوطن الأرض الجزائرية، حتى يصير أفراد الجزائر موازين للبلاد الفرنسية في هذا الأمر، والمسيحية لا تتوافق ودين الأمة الجزائرية.
- التأكيد على كون الجزائر مقاطعة فرنسية وأرض تابعة لها، وهذا يُلغي حرية وسيادة الجزائريين على أرضهم وبلادهم.

ومتى ما تمَّ إعتقاد وتبَيَّن هذه الأمور الثلاثة، فكلُّ ما بُني عليها يكون خادماً ومدعماً لفرنسا وسياستها الإستوطانية بالجزائر، وبعثاً لهويتها وخصوصياتها، وفي نفس الوقت طامسا ومزيلا للمقومات الجزائرية. وهذا ما جعل المُحتلَّ يفتح المجال لمن يُعي ويمضي في إطار قوانينه وما رسمه لتجسيد وتأكيد شرعيته وأحقّيته بأرض الجزائر وما فيها، والعكس كان يقوم به من ضحضٍ وخلخلة لكل من يمضي خارج الأفق الذي رسمه. ومن هنا تتجلى وتبرز لنا قيمة المشروع الإصلاحي للإبراهيمي، الذي بناه في إطار الخصوصية الجزائرية واستبعد كل ما يعد خارج عنها. وعلى نقيض هذه الضوابط التي مكّنت لها فرنسا بالجزائر أخرج مشروعه الذي تَوَجَّ به كل ما هو جزائري وأهمل ما لا يتماشى وخصوصياتها.

3. خصوصيات ومقومات الأمة الجزائرية التي محور وبعث فيها "العلامة" فلسفته التربوية تتأكيد في أُسسٍ ثلاثة هي: الإسلام ديننا لهذا الشعب، والعربية لغة له، والجزائر وطننا وبلداً. وفي حقيقة الأمر هي ركائز مُتبناة في جميع القضايا الوطنية (السياسية، التربوية، العلمية، العسكرية...) لأنّها تمثل الأصول التي نشأت واجتمعت تحتها الأطراف والهيئات الوطنية المناهضة للإحتلال الفرنسي وسياسته، لأجل بث الوعي بالمقومات والإتحاد تحت هذه الأصول ممّا يُسهِّل التَّنسيق والإتحاد بين كلّ الأطراف للمُضي في درب السيادة الوطنية. وهذا ما نجده مؤكداً في نداءات جمعية العلماء المسلمين إلى الشعب الجزائري، التي رأت أنّ إتحاد الجزائريين لا يتمّ إلّا في إطار الأصول العامة التي تجمعهم (الأرض، الإسلام والعروبة)، إذ بها يتأكد الإتحاد تحت هذه المبادئ، ومن ثمَّ بثُّ الوعي في إطارها لكلِّ شرائح المجتمع.

وما المشروع التربوي للعلامة "البشير الإبراهيمي" والنُّخبة المناضلة معه في سبيل الإصلاح، إلّا ميدانا من الميادين التي أكدت على الأصول الجزائرية، ومضت في سبيل التمكين للتربية والتعليم لدى هذا الشعب في ضوء أصول ومقومات الفرد والأمة الجزائرية. فكيف تجلّى نشاطه التربوي التعليمي في هذه الأصول؟. التي جمعت تحتها خصائصا تلتئم تحتها العديد من المقومات من تاريخ وثقافة وتربية وحضارة وغيرها.

ولهذا المشروع بعدٌ كبيرٌ في مسار الجزائر إذا نظرنا إلى هذه الجهود بمعايير الفترة التي تَمَّت فيها، حيث كانت جُلُّ الخصوصية مُغَيَّبَةً، ف«التعليم كان فرنسيا بحتا، لأعربيا ولا جزائريا، واللغة الفرنسية فيه هي لغة الوطن، وبلاد فرنسا فيه هي الوطن، وتاريخ فرنسا فيه هو تاريخ الوطن وهكذا...» (المدني، ص141) وهذا ما أعطى الإصلاح التربوي والتعليم قيمة كبيرة، إذ أنّ «مأساة التعليم في بلادنا الجزائرية تساوي في هولها وفي فظاعتها مأساة الأرض، فهذه حرمت على أبنائها حياتهم المادية، وتلك حالت بينهم وبين النور، والحياة الإنسانية الفاضلة» (المدني، ص141)

1.3. الأصل الأول الذي حرص "الإبراهيمي" على تمكينه في مشروعه الإصلاحي هو جعل الدين الإسلامي دينا للشعب الجزائري، وفي نفس الوقت نافيا ورافضا للمسيحية وسياسة التنصير الفرنسي؛ فالإصلاح الديني يؤدي إلى إصلاح اجتماعي أخلاقي ويرى النفوس والإرادات للتعلم والعمل، يقول الإبراهيمي: «أيها الإخوان من الغلط أن يقال أن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس... والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي وكل ذلك وسع الإسلام وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها. فالإسلام دين واجتماع، وإن كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف وأن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي. ولهذا الإرتباط بين القسمين فإن جمعية العلماء وهي الجمعية الرشيدة العاملة بحقائق الإسلام عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين وهي تعلم أن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه على الطريقة حتى تستقيم اجتماعياته فيحسن إدراكه للأشياء وفهمه لمعنى الحياة وتقديره لوظيفته فيها وعمله بحظه منها وينضج عقله وتفكيره... ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يروونه لأنفسهم وتربط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة لا رابطة السيادة عليه» (جمعية العلماء المسلمين. 1936، ص6)

2.3. الأصل الثاني كون اللغة العربية لسان الحال ولغة العلم والحوار، وفي هذا يقول "الإبراهيمي" مُعَبِّراً عن سعيه في سبيل تعليم ونشر هذه اللغة «موضوع العروبة أو العربية هو الموضوع الذي اختاره الله لي، وجعله ميدان أعماله وأحاديثي، ومجال قلبي وعشرات السنين» (الإبراهيمي، ص148) ويؤكد هذا الباحث "جمال سليم" أيضا لما يقول: «إن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (...)

ترك الجزائر في عام 1952 وبها 400 مدرسة عربية و700 معلم و96 ألف طالب وطالبة.. بمقتون اللغة الفرنسية المفروضة.. ويتكلمون العربية بطلاقة» (الإبراهيمي، ص303)

كما نشطت وراجت اللغة العربية في التعليم الحر؛ إذ أنّ الأمة الجزائرية لم تقف موقف الخائر القوى أمام الضريبة والقيود الإستعمارية، بل أقدمت بجهودها المحدودة الإمكانات على إنشاء المدارس العربية الإسلامية الحرة، وشادت منها ما يزيد عن 170 مدرسة تحت إشراف ورقابة جمعية العلماء المسلمين (المدني، ص144) وقد ساهمت هذه المدارس الابتدائية التي تعني بها جمعية العلماء بصفة خاصة خلال العشرين سنة الأخيرة من تكوين نخبة عربية إسلامية بالقطر الجزائري زاد عدد المتخرجين منها عن المئة والخمسين ألف. (المدني، ص145)

3.3. الجزائر أرض الجزائريين ضد سياسة الإدماج والقول بأن الجزائر مقاطعة فرنسية. ومتى ما رُيت الأجيال على هذا وتعلّموا يقينا أن الجزائر أرضهم، زادت عزيمتهم في السعي لاستردادها ونيل كرامتهم فيها، وهنا يقول "الإبراهيمي": «قولهم إن الجزائر قطعة من فرنسا، هي أغنية بلهاء ليس فيها ذوق ولا إنسجام» (الإبراهيمي، ص39) لأنّ الأرض تجمع الشعب أو الأمة بكلّ خصوصياتها و«لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة» فالعزّة والثّمين يكون بأرضنا لا أرض غيرنا.

وبعد أن بيّن العلامة خصوصيات الأمة الجزائرية وبين أصولها ومقوماتها، شرع في إصلاحاتها الواسع في مجال التربية والتعليم، وقد ركز نشاطه في عدّة أمور أهمها:

الحرص الكبير على تكوين الشباب باعتبارهم القلب النابض في الأمة وحاملي لوائها، ونمّس عنايته حين يقول: «الشباب في كلّ أمة هم الدم الجديد الضامن لحياتها واستمرار وجودها، وهم الإمتداد الصحيح لتاريخها، وهم الورثة الحافظون لمآثرها، وهم المصحّحون لأغلاطها وأوضاعها المنحرفة. وهم الحاملون لخصائصها إلى من بعدهم من الأجيال» (الإبراهيمي، ص120) وقد كانت توجهاته في التربية والتعليم دائما فيها حرصا على الأصول والخصوصيات الجزائري، منها قوله: «يا شباب الإسلام، وصيتي إليكم أن تتصلوا بالله تديّنا، وبنيكم اتّباعا، وبالإسلام عملا، وبتاريخ أجدادكم إطلاعا، وبآداب دينكم تخلقا، بآداب لغتكم استعمالا، وبإخوانكم في الإسلام ولداتكم في الشبيبة

اعتناءً واهتمامًا، فإن فعلتم حزمتم من الحياة الحظ الجليل، ومن ثواب الله الأجر الجليل، وفاءت عليكم الدنيا بظلمها الظليل» (الإبراهيمي، ص121)

كما نجد حرصه الكبير على الفاعلية والتطبيق لما يُتعلَّم على الميدان، فهو «لا يرى العلم علما حتى يكون مفيدا، ولا يرى الرأي رأيا حتى يكون سديداً، ولا يرى الكتاب وسيلة للعلم حتى يظهر عليه أثر العقل المستقل، ويلوح عليه ميسم الفكر الولود، وينفض عليه صبغ القريحة الحية» (الإبراهيمي، ص124) أي ما دام هناك بلدٌ اسمه الجزائر، دينه الإسلام ولغته العربية، فعلى أفراد هذا البلد أن يُمكنوا لمقوماتهم في واقعهم ويعيشوا حياتهم في ضوئها وليس بعيدا عنها.

ونلمس كذلك حرصه على التّسيق والوحدة يقول: «إن الأمة الجزائرية أمة مسلمة عربية تربطها بالمسلمين رابطة الإسلام العامة، وتربطها بالعرب رابطة العروبة العامة... مع الإحتفاظ التام بمقوماتها الطبيعية التي منها الإسلام والعروبة وعدم التنازل عن الشخصية التي بها هي أمة» (الإبراهيمي، ص134) والمقصود بالشخصية هنا الوطنية ومن ورائها تأكيد للروابط والمقومات.

خاتمة

وختاما لهذه الدراسة نخلص للقول أنّ غاية وهدف العلامة "البشير الإبراهيمي" من مشروعه التربوي ليس تقديم المعارف والمعلومات بقدر ما هو ضبط للأصول والمقومات، وإبراز للخصوصيات الجزائرية، وكذا وضع أساس وقاعدة لممارسة النشاطات التربوية التعليمية والمعرفية. إذ لو كانت الغاية المرجوة من الإصلاحات تقديم مادّة علمية معرفية لتعلمين لاعتمد النظام التربوي التعليمي لإحتلال الفرنسي الذي له فضاءات وبرامج محكمة تسيّره. لكن سعيه من مشروعه هذا كان لغايات وأهداف حُصّلت ثمارها في فتراتٍ لاحقة، فهو قام بتحديد معالم الهوية الوطنية بضبط جميع الأصول والخصوصيات والمقومات الجزائرية، وبثّ أفكاره هذه في النّشأ أو الجيل الذي عاصره ليعمل هذا الجيل على الرّقي بهذه الأصول والمقومات وإرسائها قواعدا وقوانين رئيسة في دستور الجزائر المستقلة. ولولا التربية على الأصول الجزائرية، لما كان هناك سعيٌ للمطالبه بها، ومن بعدها تمكينها في تسيير شرون البلاد. والفضل في في كلّ هذا يعود للمؤسس والمربي الأول للأجيال على هذه الأصول؛ أي العلامة "محمد البشير الإبراهيمي" ورفقاء دربه.

قائمة المراجع

- بينيت، طوني وآخرون. (2010). مفاتيح اصطلاحية جديدة. (ترجمة، سعيد الغانبي). ط1. المنظمة العربية للترجمة. بيروت. لبنان.
- الإبراهيمي، أحمد طالب. (1997). أثار الإمام محمد الشير الإبراهيمي. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- جمعية العلماء المسلمين. (1936). البصائر. 1(34).
- المدني، أحمد توفيق. هذه هي الجزائر. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- جمعية العلماء المسلمين. (1936). "خطاب الأستاذ الإبراهيمي في الاجتماع العام الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين". البصائر. 1(37).